

المقطف

الجزء الثالث من المجلد التاسع والعشرين

١ مارس (آذار) سنة ١٩٠٤ - الموافق ١٤ ذي الحجة سنة ١٣٢١

الحرب بين الروس واليابان

نكتب هذه السطور وقد تفاقمت الخطوب في الشرق الأقصى وقامت اليابان بنت الامس في العمران الحديث نتهدد روسيا المنية الجانب الشديدة الصولة التي يدين لها مئة وثلاثون مليوناً من النفوس وتحقق رايتها على نصف اسيا واكثر من نصف اوربا . وتحسب اليابان انها تعود من هذه الحرب ظافرة غائمة لانها اعدت من الاساطيل في بحرها وبحر الصين ما هو اقوي من الاسطول الروسي الذي هنالك ولا انها معتمدة على تحالفها مع انكلترا . وقد ضربت الضربة الاولى قبل ان تعلن الحرب رسمياً فبيت الاسطول الروسي وباغتته فاستغرب الناس منها هذه الجراءة ولا مهابتها انصار السلم على ذلك اعتقاداً منهم انها لو ضربت اجلاً لانتها المخبرات والشروع في القتال اذا لم تجب الى مطالبتها لتساهلت روسيا لها فامتنعت الحرب او لاستعدت للقاء فما تركتها تنوز في اول واقعة فتغتر ويحملها الغرور على مداومة القتال

وكان الاقدمون يحفلون باعلان الحرب احتفالاً عظيماً ولا تنفخ امة على امة حرباً ما لم تنذرهم مراراً . فكان عند الرومان طائفة من النذراء لا عمل لها الا اعلان الحرب للخصوم قبل الشروع فيها وجرت اوربا على هذه الخطة حتى انه لما عزم لويس الثالث عشر ملك فرنسا على محاربة اسبانيا في اوائل القرن السابع عشر بعث نذيره الى بلاط ملك اسبانيا ينذره بذلك . ثم لما عزم كارلس العاشر ملك اسوج على محاربة الدنمارك لم يسر خطوة قبلما وصل نذيره الى عاصمة الدنمارك وانذر ملكها بعزمه على محاربتها

ولما نشبت حرب القرم بعثت روسيا تنذراً الباب العالي بذلك قبل وقوع القتال بثلاثة ايام ثم لما حاربت ثانية سنة ١٨٧٧ اندرتة بالحرب يوم عبرت جنودها تخوم رومانيا . وكذلك لما

عزمت فرنسا على محاربة ألمانيا امرت وكيلها في برلين ان يعلن بسمارك بذلك . الا ان الحروب التي ابتدأت قبل اعلانها اكثر من الحروب التي ابتدأت بعد اعلانها حتى جرى عندهم القول المأثور اضرب ثم اعلن

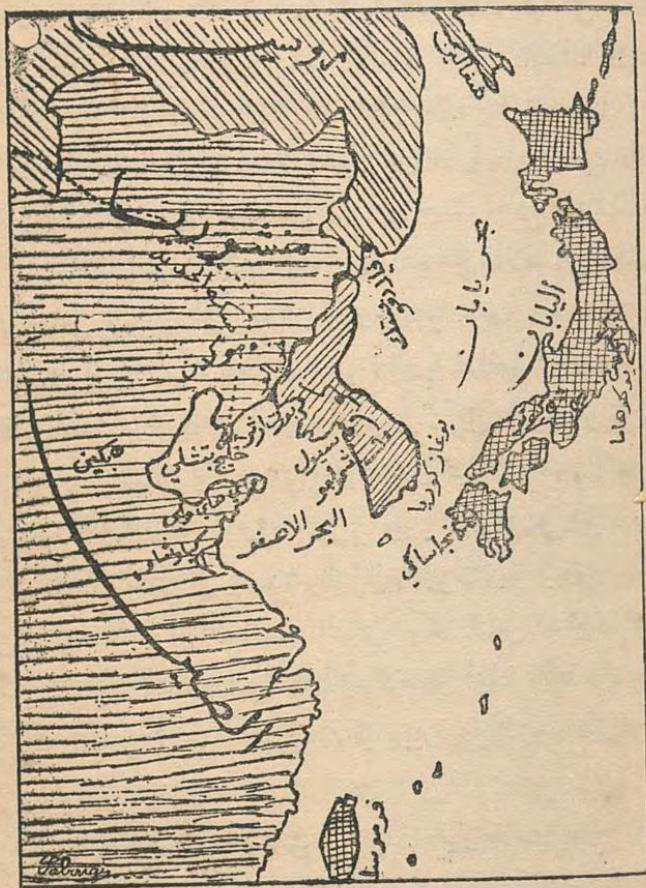
واسباب هذه الحرب طمع الدول الاوربية في مملكة الصين الوسيعة فان كل دولة منها تخاف ان تستأثر غيرها بنصيب اكبر من نصيبها ولذلك اتفقت كلها على الامتناع عن تجزئتها وعلى منع ارتقاءها . ومدت روسيا سكة الحديد في سيبيريا ووصلتها الى منشوريا وفي الجزء الشمالي الشرقي من بلاد الصين وبلغتها بحر الصين وادّعت ان الصين لا تستطيع حفظها لاختلال الاحكام فيها فاحتلت منشوريا كلها بحجة المحافظة على هذه السكة . فانذرتها الدول مراراً بالجلاء عنها وفي حملتها دولة اليابان فلم تجل وراّت اليابان ان بقاء روسيا في منشوريا يهدّد بلاد كوريا واليابان مصالح جمّة في تلك البلاد فطلبت منها الجلاء عن منشوريا او تفصل الحرب بينهما فطلبتها روسيا في الجواب ولعلها قصدت ان يجتمع لها اسطول كبير هناك قبل ذلك فلم تستطع اليابان صبراً وقطعت العلاقات السياسية مع الروس في ٥ فبراير وارسلت جنودها الى شموبلو مرفأ سيول عاصمة كوريا في ٨ فبراير وامرت اسطولها بالهجوم على اسطول الروس في بورت آرثر . وبورت آرثر هذا مرفأ شرقي باكين تنتهي فيه سكة منشوريا وقد استأجره الروس من الصينيين وحصنوه وجمعوا اسطولهم فيه فهجم عليه الاسطول الياباني في الثامن من فبراير واستأنف الهجوم في التاسع منه وقد وصف مكاتب الدايلي مايل هذه المعركة وصفاً مسهباً قال

معركة بورت آرثر

وصلت في ١٠ فبراير الى بنهوا (منشوريا) في قطر خصوصي من بورت آرثر وكتبني رسالتي هذه وانا فيه حتى لا ابطئ في ارسالها فاني لم اجد سبيلاً الى الخروج من بورت آرثر قبلاً ولا الى ارسال تلغراف طويل كهذا اذ قد منعوا السفن كلها عن السفر من بورت آرثر منذ حدوث المعركة امس الثلاثاء وخصوا تلغراف سكة الحديد برسائل رجال البحرية والجيش وغيرهم من موظفي الروس دون سواهم

هذا وفي صباح يوم الاثنين (٨ الجاري) صدرت الاوامر الخصوصية الى جميع الضباط وصف الضباط والعساكر البحرية التي في السفن الروسية والمستشفى العسكري البحري بالانتقال الى البوارج الروسية الراسية خارج مدخل الميناء في بورت آرثر وهذا المدخل يغلق كل ليلة . وفي منتصف الليل استيقظ اهل بورت آرثر على اصوات المدافع الكبيرة فاسرعت الى بطرية

الثل واشرفت منها على البحر فرأيت ست نساغات يابانية (سفن الطربيد) قد اقتربت من الاسطول الروسي حتى صارت على بعد نصف ميل منه فقط وقد حاكت بوارج الروس في انوارها ومداخنها واشاراتها واعلامها كل المحاكاة ودنت منها جداً قبل ان تشعر بها . ثم اطلقت كلها طرايدها عليها فاصاب ثلاثة منها البارجتين الروسيتين زاروتش ورتفيزان والطراد



الروسي بلادده وطاشت البقية . فعادت هذه البوارج الثلاث الى مدخل الميناء حذراً من الفرق اذا بقيت في الماء العميق واطلقت البوارج والحصون الروسية نارا حامية متواصلة على النساغات اليابانية لكن اربعاً منها نجت من نارها واصيبت الخامسة فغرقت واشرفت السادسة على الفرق ففرّ بجاتها منها ونجوا بانفسهم ثم استخوذ الروس عليها قبلما تفرق وبعد ما ولّت النساغات اليابانية سارت الطرادات الروسية بقيادة الاميرال البرنس اخوتسكي للبحث

والاستكشاف ثم عادت وانتهت المعركة الساعة الثالثة بعد نصف الليل وقد خسر الروس فيها ثمانية قتلى و ٢٠ جريحاً ولم تصب العارة الروسية ولا حصون الروس بضرر كبير ما عدا تعطيل البارجتين والطراد التي مرّ ذكرها وكان في الميناء نساكات روسية كثيرة وكذلك مدمرات روسية ولكنها لم تكن مستعدة حينئذٍ لدفع هجمة النساكات اليابانية . فقد فاجأ اليابانيون الروس بهجومهم وادهشوا الناس بخفة حركاتهم وما بدا من جرأتهم وشجاعتهم

وفي صباح الثلاثاء (٩ الجاري) جاءت الاخبار من دالني (مدينة بالقرب من بورت آرثر) انهم رأوا الاسطول الياباني متوجهاً غرباً مصطفياً في شكل الهجوم وقبل الظهر سبعة رأيناهُ مقبلاً وقد اصطفّت بوارجهُ صفين وهي خمس عشرة ست بوارج وستة طرادات من الطراز الاول وثلاثة من الطراز الثاني . وكان للروس حينئذٍ خارج الميناء ثلاث عشرة من البوارج والطرادات الكبيرة بقيادة الاميرال ستارك وهذه غير الثلاث التي عطلت واستقرت على الارض في مدخل الميناء الداخلي . وكان الجزر حينئذٍ

فدار القتال وابتدأت المعركة باطلاق البطارية البرية لمدافعها الكبيرة وكانت الريح نهب خفيفة والدخان يحجب ما يجري عن العيون ولكني رأيت كل ما يرى عن تل هناك مقابل مدخل الميناء . فوقعت قنبلتان بالقرب مني وشو عشرون قنبلة في القسم القديم من المدينة والميناء الغربي حيث كانت بواخر كثيرة راسية من بواخر الامم التي على الحياذ . ولما ابتدأت المعركة فرّ اهل المدينة منها الى تل يقيمهم شر القنابل وانفجرت قنبلة كبيرة من قنابل اليابانيين فدمرت بعض المحلات الكبيرة والبنك الروسي الصيني . وكان الناس قد هجروا الشوارع ووقف رجال البوليس يحفظون النظام وظهرت النساء والاطفال شجاعة عظيمة وثقاترت العساكر من الثكنات المجاورة لتحمل اماكن منيعة وتصد اليابانيين عن النزول الى المدينة اذا حاولوا النزول اليها

وجرت بوارج اليابانيين تمخرغاً حتى اذا قابلت البارجة منها بوارج الروس على بعد اربعة اميال اطلقت مدافعها عليها وكانت بوارج الروس على بعد ميلين من الشاطئ . واشتبهك القتال بين الاسطولين بالمدافع فعددت اكثر من ٣٠٠ قنبلة من قنابلها لم يصل منها الى الغرض الا القليل وبعضها لم ينفجر وانتهى اطلاق المدافع عند الظهر وجرت البوارج اليابانية جنوباً بعد ما خسرت بارجة واحدة وعُطل طراد كبير منها وطارد الطراد الروسي نوفيك سفينة صغيرة يابانية واغرقها ثم اصابته قنبلة عند حد الماء ولكنه وصل الى الميناء سالماً فهنا الاميرال ستارك ربأه القبطان اسن بالاشارة قائلاً احسنت احسنت وهتفت له بوارج الروس كلها

بالتهاوى . وكانت السفن الثلاث التي عطلت تطلق مدافعها على اليابانيين ايضاً مع سائر البوارج الروسية ساعة المعركة ثم جاء مد البحر فطفت احداها زاروتش وقطرت الى الحوض الكبير حيث تصلح الآن واما الطراد بلاده فقد اصلح ما عطل فيه بنفسه وانضم الى الاسطول واما البارجة رتفزان فكانت لا تزال مستقرة على الارض عند خروجي من بورت آرثر . واصيبت البارجة كازان من بواخر الاسطول المتطوع بقنبلة في الميناء الداخلي . وعاد السكون كما كان في الساعة الاولى بعد الظهر وجيء بالجرحى الى المستشفى انتهى . ثم اتضح من الاخبار التي وصلت بعد ذلك ان مدافع اليابانيين اصابت بارجة وثلاثة طرادات روسية في ذلك اليوم وان الروس خسروا في هذه المعركة ٩٠ نفساً بين قتيل وجريح ويقول اليابانيون انهم خسروا ٥٨ نفساً

وهجم اسطول ياباني آخر في ٩ فبراير على مرفأ شمولبو غربي كوريا وكان فيه طراد روسي ومدفعية روسية وجرى بينه وبينهما معركة هائلة وصفها مكاتب الدايلى مايل في سيول عاصمة كوريا فقال

معركة شمولبو

ان السفينتين الروسيتين الحربيتين وهما الطراد فارياق والمدفعية كوريتز حصرتا في مرفأ شمولبو فلم تجدا الى النجاة سبيلاً وحاولت المدفعية كوريتز الخروج من المرفأ بعد ظهر الاثنين (في ٨ الجاري) فرأت امامها الاسطول الياباني وهو مؤلف من ستة طرادات ومتلفتين وتثاني نسافات فاضطرت ان تعود الى مكانها

وانزل اليابانيون جنوداً من سفن النقل ثم اعلنوا قومندان السفينتين الروسيتين بالحرب وبأنهم يهاجمونه في المرفأ اذا لم يخرج منه حتى ظهر يوم الثلاثاء واعلنوا ايضاً قومندانات بقية السفن الحربية التي على الحياد (بابتداء الحرب)

وفي الساعة السابعة من صباح الثلاثاء تفاوض قبطان الطراد فارياق مع رؤساء السفن الانكليزية والفرنسوية والاطالية على ظهر السفينة تلبت الانكليزية وطلب حمايتهم في خروجه من المرفأ فلم يلبوا طلبه فعاد الى سفينته . وللحال اخذت السفينتان فارياق وكوريتز تخففات حملها بطرح ما فيهما من الخشب ونحوه في البحر واجتمع بحارتهما وانشدوا النشيد الروسي الوطني وكانت الموسيقى تصدح فيهما وهما سائرتان الى نزال الاسطول الياباني

ووقف الضباط والبحارة في السفن الانكليزية والاطالية والفرنسوية وجعلوا يحجون البحارة الروسين باعلى اصواتهم وسار زورق انكليزي الى سفينة الاميرال الياباني وسلم اليه رسالة

قبل القتال فيها الاحتجاج على ما يفعله . وكان الاسطول الياباني بقيادة الاميرال اوريو على ستة اميال من السفن الاجنبية التي في المرفأ . وقبل الظهر بعشر دقائق اطلق طراد ياباني قنبلة قطرها ثمانى بوصات على السفينتين الروسيتين وهما خارجتان من المرفأ ثم اطلق قنبلة ثانية وثالثة وحينئذ اجابه الروسيون وكان المدى بينهم وبينه ٢٤٠٠٠ قدم

واصطف الاسطول الياباني للقتال وعند الظهر اشتركت سفنه كلها في اطلاق المدافع اطلاقاً متواصلاً على السفينتين الروسيتين وكان اكثرها مسدداً على الطراد فارياق وحاول الروس الخروج من خط النار ولكن اصابته الفارياق خمس قنابل الواحدة بعد الاخرى وكانت مدافع اليابانيين الرشاشة تحصد رجاله حصداً واصابت قنبلة منها رجال مدافع فقتلتهم او جرحتهم كلهم الا واحداً واصابت قنبلة اخرى مدفعاً فاحرقت الذخيرة كلها ومزقت قنبلة خشب المرف وحرقت فاضطر المدفعية ان يبطلوا اطلاق المدافع نحو خمس دقائق لان الفارياق صار شعله من نار وكانت القنابل تشويهم شيئاً وتمزق اعضاءهم تمزيقاً ولكنهم بقوا امام مدافعهم يطلقونها بالاحكام

اما المدفعية كوريتز فلم يلحق بها ضرر كثير ولم يصب احد من بحارتها على ما يظهر وحاول الفارياق الاحتماء بجيزة هناك ولكن اصابته قنبلة آتته التي تدير الدفة فعزم بقاءه ان يعود به الى المرفأ ويلقيه على البر حتى لا يأسره العدو ولكنه اضطر ان يتأخر في رجوعه الى المرفأ لان الكوريتز بطيئة السير وظل يطلق مدافعه على العدو في رجوعه الى ان دخل المرفأ ورسا على ٩٠٠ قدم من السفينة الانكليزية وحينئذ بعثت اليه السفن الراسية في المرفأ بالجراحين وقد قتل من رجاله اربعون رجلاً وضابط واحد وهو الكونت نيارد وجرح منهم ٦٤ وضابطان اما الذين اصابوا من رجال الكوريتز فقلال جداً وادعى اليابانيون انه لم يصب منهم احد وان القنابل الروسية لم تصب سفنهم

واعلن قبطان الفارياق عزمه على نسف طراد المدفعية كوريتز فنقل رجالها الى السفن الاجنبية الراسية في المرفأ ونسف المدفعية كوريتز في الساعة الرابعة تماماً وفتح ابواب الماء في الطراد فارياق واغرقه بعد ان اشعل ما فيه من الذخيرة وحرقه لكي لا يقع في يد اليابانيين وحرق ايضا الباخرة الروسية شنغاري لكي لا تقع في يدهم

ولم يذكر هذا المكاتب ولا مكاتب النيويورك هراى الذي شهد هذه المعركة ووصفها وصفاً مطولاً ايضاً ما لحق ببوارج اليابان من الضرر ولكن المسيو باولوف الذي كان سفير روسيا في كوريا قال ان السفينتين الروسيتين اغرقنا طراداً يابانياً وعطائنا آخر تعطيلاً كلياً

حتى غرق قبلما حُرقتا وغرقتا واما اليابانيون فينكرون ذلك . وفي ذلك اليوم احتل اليابانيون مدينة سيول عاصمة كوريا

وفي ١١ فبراير مر الاسطول الروسي الذي كان في فلادفوستك برأى من جزيرة يزو اليابانية واحرق سفينة تجارية يابانية . وفي ذلك اليوم مست الباخرة الروسية ينيسي التي تركب الالغام لغماً عرضاً فنسفها واغرق ٥٦ نفساً فيها

وفي ١٣ منه عادت بعض النسافات اليابانية الى بورت آرثر واطلقت بعض طراييدها على البوارج الروسية ثم رجعت وهي تظن انها اصابت بارجة بطراييدها والروس يكذبون ذلك ويقولون انه في ١٤ الجاري مست قبلة سفينة من سفنهم المتطوعة فلم تلحق بها ضرراً يذكر

وفي ٢٣ فبراير عاد اليابانيون يرومون سد مدخل الميناء في بورت آرثر فاحبط الروس سعيهم في ذلك وتفصيل الخبر ان اليابانيين ارسلوا اسطولاً من نسافاتهم تحت جنح الظلام مع اربع بوآخر مشحونة مواد مفرقة وملتهبة قاصدين ايصال تلك البوآخر الى مدخل الميناء واغراقها فيه لسده فدنوا من المدخل بعد نصف الليل بساعتين و٥٥ دقيقة وهم يحسبون ان الروس نائمون او لاهون كما وجدوهم في هجمتهم الاولى ولكن الروس احسوا بهم قبل ان يبلغوا المدخل فابتدروهم بالقنابل من البارجة رتفيزان ومن المدافع التي على البر حتى اذا اصبح الصباح وجدوا انهم قد دمروا البوآخر الرابع وان ثمانين نسافات يابانية قفلت راجعة الى الاسطول الياباني فجد ثلاثة طرادات روسية في اثرها ثم عادت والظاهر انها لم تدركها وانه لم يسفك دم في هذه المعركة . وقد بقي مدخل الميناء مفتوحاً كما كان وعاد اليابانيون بمحسرة البوآخر الرابع . هذه هي رواية الاميرال الكسيف الرسمية ويستدل من رواية هافاس ان الفضل في رد اليابانيين على اعقابهم كان للبارجة رتفيزان التي عطلتها النسافات اليابانية بالطريد في هجمتها الاولى على بورت آرثر

واستأنف اليابانيون الهجوم على بورت آرثر مراراً بعد ذلك لكي يسدوا مدخله ويحصروا المارة الروسية فيه فلم يفلحوا حتى اليوم الاخير من شهر فبراير حين كتابة هذه السطور هذه خلاصة ماجرى بحراً واما برراً فاهم ما طيره الينا البرق ان الاميرال الكسيف انتقل بالركن حربه الى خربين حتى اذا ظفر اليابانيون في المستقبل بتخريب سكة الحديد وحصار بورت آرثر كان هو واركان حربه خارجياً . وان الجنود اليابانية التي احتلت عاصمة كوريا زحفت قاصدة نهر يالو الفاصل بينها وبين منشوريا وان الجنود الروسية تسير قاصدة ذلك النهر وقد عبره بعضها استعداداً للملاقاة الجنود اليابانية . وان الاسطول الروسي الذي مرّ

بالسويس منذ مدة ووصل الى جيبوتي بقيادة الاميرال ويرينيوس عاد بامر من حكومته راجعاً الى روسيا ولكنه لم يعبر قنال السويس حتى الآن
وقد اغناظ الروس من فعل اليابان غيظاً شديداً ونشرت حكومتهم منشوراً رسمياً في ١٨ فبراير قالت فيه

”لقد مضى ثمانية ايام منذ اهتزت روسيا كلها سخطاً وحنقاً على عدو قطع المفاوضات فجأة ورام ان ينال فوزاً هيناً في حرب طالما تمنّاها بمهاجمتنا غدرًا . فالامة الروسية تروم الانتقام العاجل بذاهب الصبر وتنتظر اخبار الشرق الاقصى باهتمام لا مزيد عليه . وكل من ندير اتحاد الشعب الروسي وقوته لا يبقى عنده ريب في ان اليابان ستلقى العقاب الذي تستحقه على غدرها واثارتها للحرب حين كان قيصرنا المحبوب باذلاً جهده في تأييد السلام بين الامم
”على ان الاحوال التي تجري هذه الحرب فيها تضطرنا الى الصبر والانتظار حتى تأتينا اخبار انتصار جنودنا وذلك لا يكون قبل ان يحارب الجيش الروسي العدو في معارك فاصلة وبلد ساحة الحرب عنا ورغبة القيصر في المحافظة على السلم لم نستعد لهذه الحرب قبل وقوعها بزمان طويل . فلا بد من مرور زمان طويل على روسيا حتى تضرب اليابان الضربات التي نلبي بقدرها وتناسب قوتها وتؤدب تلك الامة التي استفزتها الى هذه الحرب التاديب الذي تستحقه مع بذلنا الجهد في حقن دماء ابنائنا . فلا بد لروسيا الآن من انتظار ذلك بالصبر الجميل موفية ان جيشنا ينتقم لنفسه مئة ضعف من عدونا . ولا بد من انتظار الحرب برّاً مدة ايضاً وكذلك اخبار الحرب لا تأتينا من ساحة الحرب باكراً . ولا يليق بعظمة روسيا وقوتها ان تسفك دماء ابنائها على غير جدوى . هذا وان بلادنا تظهر من الاتحاد والرغبة في افتداء مصلحة الامة بنفسها حتى ان كل خبر حقيقي يأتينا من ساحة القتال يكون حقاً للامة كلها فقطع عليه حالاً“
وقد اطلعنا على وصف مسهب للاسطول الروسي والاسطول الياباني في جريدة السينتس اميركان التي يعول عليها في هذه المسائل فنشرنا خلاصته في باب الاخبار في هذا الجزء .
وفضلنا نشر هذا الفصل عن الحرب هنا على نشر ما كنا نريد نشره من فلسفة سببنا لان الحرب الحاضرة اكبر شأن في مصالح البشر وعليها وسيكون مدار المناظرة القديمة العهد بين الشرق والغرب . فان فازت روسيا ومحقت دولة اليابان بقي الفوز للغرب على الشرق قروناً كثيرة وان فازت اليابان ولم تعارضها اوربا في إنهاض بلاد الصين فلا يبعد ان يعود الفوز للشرق في بلاد المشرق في القريب العاجل

لباس الرأس

إذا أَلَفَ الإنسان عادة وتَأَصَّلَتْ فِيهِ تصبِحَ لَدَيْهِ فِي حُكْمِ الْأَعْمَالِ الْمُقَدَّسَةِ فِعْدَ الْأَسْتِمَاتَةِ فِي الدِّفَاعِ عَنْهَا مِنَ الْبَاقِيَّاتِ الصَّالِحَاتِ وَالْأَسْتِمَاتَةِ بِشَأْنِهَا مِنَ السَّيِّئَاتِ الْمُرْدِيَّاتِ وَالنَّازِلَاتِ فِي الْأَدْيَانِ السَّمَاوِيَةِ الشَّائِعَةِ لَا يَعْثُرُ فِي تَضَاعِيفِ أَسْفَارِهَا عَلَى مَا يَحْتَمُّ عَلَيْهِ أَنْ يَتَّبَعَ بِهَا مِنَ الْعَادَاتِ اللَّهْمِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ عِلَاقَةٌ بِالْأَخْلَاقِ وَالْأَدَبِ إِذَا الدِّيَانَاتُ مَا جَاءَتْ إِلَّا لَتُدْعُو إِلَى مَعْرِفَةِ الصَّانِعِ الْمُبْدِعِ وَتَكْفُفَ مِنْ تَعَادِي الْبَشَرِ وَتُرَدِّعَهُمْ عَنْ سُبُلِ الْغَوَايَةِ وَتُظْهِرَ نَفْسَهُمْ وَاعِدَةً بِعَادَةٍ ثَانٍ كُلٍّ مِنْ أَصْلَحِ أَعْمَالِ قَلْبِهِ وَتُقَرَّبَ بِأَنْوَاعِ الرُّزْلِ مِنْ رَبِّهِ . وَمَا ظَهَرَتْ الْأَدْيَانُ بِهَا وَهِيَ الْوَاضِعُونَ لَتُعْرِفَ الْعَالَمُ وَتُجَدِّدَ الصَّنَاعَاتُ وَمَا يَحْتَاجُهُ النَّاسُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

ولقد لُغِطَ بَعْضُهُمْ هَذِهِ الْأَوْنَةَ فِي مِصْرَ وَالشَّامِ بِفَتْوَى اسْتِصْدَارِهَا أَحَدَ سُكَّانِ التَّرَنْسْفَالِ فِي الرُّخْصَةِ لِبَسِّ الْمُسْلِمِينَ الْقُبَّةَ ^(١) بِجَارَةِ مُوَاطَنِيهِمْ مِنَ الْإِفْرَنْجِ وَتَفَادِيًا مِنْ أَنْ يَنْهَلَهُمْ إِذْ يُزَيِّدُونَ إِذَا ظَلَمُوا مُخَفِّظِينَ بِشَعَارِ رَأْسِهِمْ حَتَّى كَادَ يُوقَفَنَّ مِنْ لَا يَعْرِفُ الْإِسْلَامَ أَنْ لِبَسَ الْقُبَّاتِ مِنَ الطَّامَاتِ وَأَنْ مَاتُوا طَوَّاءَ أَهْلَ هَذَا الْعَصْرِ عَلَى سِتْرِ رُؤُسِهِمْ بِهِ مِنَ الصُّوفِ أَوْ الْفُرِّ أَوْ الْقَشِّ أَوْ الْحَرِيرِ أَوْ الْقَطَنِ عَلَى اخْتِلَافِ أَشْكَالِهِ هُوَ هُوَ عِمَادُ الدِّينِ وَأُسُّ أَسَاسِ الْيَقِينِ . عَلَى أَنَّ الْأَمْرَ أَقْلٌ مِمَّا تَوْهَمُوهُ وَكِبْرُوهُ يَنَاقِضُهُ مَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ مِنْ أَنَّ الشَّارِعَ الْأَعْظَمَ قَالَ كُلُوا وَاشْرَبُوا وَابْسُوا وَتَصَدَّقُوا فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ . وَلَا مَخِيلَةَ . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ كُلُّ مَا شَتَّتَ وَابْسَ مَا شَتَّتَ مَا خَطَّئْتُكَ اثْنَتَانِ سَرَفٌ أَوْ مَخِيلَةٌ

وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِبَسَ الْجُبَّةَ الرُّومِيَّةَ مَعَ أَنَّهَا مِنْ لِبَاسِ النَّصَارَى وَاكْتَسَى الطَّلِيسَانَ ^(٢) الْكُسْرَوِيَّ وَهُوَ لِبَاسُ مَجُوسِ الْفَرَسِ وَكَذَلِكَ الصَّحَابَةُ لَمْ يَتَخَرَّجُوا مِنْ لِبَاسِ أَهْلِ الْبِلَادِ الَّتِي افْتَتَحَهَا نَصَارَى كَانُوا أَهْلَهَا أَمْ مَجُوسًا . وَصَحَّ أَنَّ النَّاسَ نِسَاءً وَرِجَالًا لَبَسُوا الْبُرَّانِسَ ^(٣)

(١) القُبَّةُ كَقَبْرَةِ خُرْقَةِ نَخَاطِ كَالْبُرْنِسِ كَانَ يَلْبَسُهَا الصِّيَّانُ وَقَدْ أَطْلَقَتْ عَلَى «الْبُرْنِيطَةِ» لَمَّا بَيْنَ الْأَوَّلَى وَالثَّانِيَةِ مِنَ الشَّيْءِ . جَاءَ فِي تَاجِ الْعُرُوسِ وَصَاحِبِ الْقَبِيْعِ مَصْغَرًا لِقَبِّ الشَّرِيفِ عُمَرَ بْنِ أَحْمَدَ الْأَهْدَلِ الْحُسَيْنِيِّ لِأَنَّهُ كَانَ يَلْبَسُهُ دَائِمًا عَلَى رَأْسِهِ وَهُوَ مِثْلُ الْقَلَنْسُوَةِ مِنْ خَوْصِ النَّخْلِ

(٢) الطَّلِيسَانُ مِثْلَةُ اللَّامِ وَلَيْسَ عَرَبِيًّا أَصْلُهُ بِالْفَارْسِيَّةِ تَالِسَانُ قَالَ فِي النَّجَاشِ وَمِنْ الْحَازِ بِقَالَ فِي الشَّمِّ يَا ابْنَ الطَّلِيسَانِ إِيَّاكَ أَعْجَبِي لِأَنَّ الْعَجْمَ هُمُ الَّذِينَ يَنْطَلِسُونَ وَاجْمَعِ الطَّلِيسَانَةَ

(٣) جَاءَ فِي النَّجَاشِ الْبُرْنِسُ بِالضَّمِّ قَلَنْسُوَةٌ طَوِيلَةٌ وَكَانَ النَّاسُ يَلْبَسُونَهَا فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ قَالَتْهُ الْجَوْهَرِيُّ وَهُوَ كُلُّ ثَوْبٍ رَأْسُهُ مِنْهُ مَلْتَزِقٌ بِدِرَاعَةٍ كَانَ أَوْ جَبَّةً أَوْ مَنْطَرًا قَالَتْهُ الْأَزْهَرِيُّ وَصُوبُهُ وَهُوَ مِنَ الْبُرْسِ بِالْكَسْرِ الْقَطَنُ وَالنُّونُ زَائِدَةٌ وَقِيلَ أَنَّهُ غَيْرُ عَرَبِيٍّ

اول الفتح من غير تكبر مع انها من لبوس اهل النصرانية . وقد سئل مالك عن البرنس وكان من لباس الرهبان فقال لا بأس به قيل له فانه من لبوس النصارى قال كان يلبس ههنا . وقال عبدالله بن ابي بكر ما كان احد من القراء الا له برنس رواه بن حجر . وجاء في سفر السعادة لفيروزبادي انه صلى الله عليه وسلم لبس السراويل ولبس العمامة بغير قلنسوة^(٤) ومع القلنسوة والقلنسوة بغير العمامة وكان يجعل العذبة بين كتفيه في اكثر الاحوال . قال وكان يلبس الثوب المعلم والثوب الساذج والثوب الاسود والفرو المعلم على اطرافه بالسندس وكان له جبة خسروانية مفرجة عليها سجن من الديباج مخيطة واما الطيلسان فانه كان يلبسه حال الحر كما في اليوم الذي امر فيه بالهجرة فانه جاء في نصف النهار الى بيت ابي بكر وهو مطبل واما حديث انس كان يكثر القناع يعني يلبس الطيلسان كثيراً فحمله بعضهم على اوقات الضرورة وفي السفر

ويروى ان ابا يوسف من اصحاب ابي حنيفة ارتأى تخصيص العلماء بزي خاص في الملبس ليعرفوا فيطاعوا وتكون كلمتهم العليا ابنا حلوا فتابع على هذا الرأي بعضهم واراد ان يبرهنوا التجوز ويجعل له مأخذاً من الدين . قال محمد صديق حسن خان في حسن الاسوة في تفسير قوله تعالى "يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين من جلايبن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين" : واستنبط بعض اهل العلم من هذه الآية ان ما يفعله علماء هذا الزمان في ملابسهم من سعة الاكام والعمة ولبس الطيلسان حسن وان لم يفعله السلف لان فيه تمييزاً لهم وبذلك يعرفون فيلتفت الى فتاواهم واقوالهم . قال السبكي ومنه يعلم ان تمييز الاشراف بعلامة امر مشروع ايضاً انتهى . واقول ما ابرد هذا الاستنباط وما ابعده وما اقل نفعه وجدواه لاسيما بعد ما ورد في السنة المطهرة من النهي عن الاسراف في اللباس وإطالته وقد منع من ذلك سلف الامة وأمتها فاين هذا من ذاك وانما هو بدعة قيحة شنيعة مردودة على صاحبها احداثها علماء السوء ومشايخ الدنيا ومن هنا قال علي القاري في معرض الذم لاهل مكة لهم عائم كالابراج وكائم كالاجراج . وما ذكره من ان زي العلماء والاشراف في هذا الزمان سنة رده ابن الحاج في المدخل^١ بانه مخالف لزمهم في زمن النبي وزمن الخلفاء الراشدين وبعده من خير القرون فان قيل انهم به يعرفون قيل انهم لو بقوا على الزي الاول لعرفوا به ايضاً لمخالفته لما عليه غيرهم الان اه

(٤) القلنسوة والقلنسوة اذا فتمت القاف ضمنت السين واذا ضمنت القاف كسرهما تلبس في الرأس

وليس لدينا الآن من مستند أكيد يُثبتنا بتبدل اللباس حيناً بعد آخر إلا بقايا مما نُضد في المتاحف العامة من تماثيل الناس وعُرض من ازياهم على اختلاف العصور والاقطار. قال احدهم اذا اردت ان تعرف العالم فانظر الى بيتك وعلى من احب الوقوف على ازياء أمة ان ينظر الى حالتها الحاضرة وقيس الحاضر بالغابر فالتاريخ يعيد نفسه وما اشبه الليلة بالبارحة وإنك لترى المغربي اليوم يلبس من الثياب ما لا عهد للمصري به ولهذا من الازياء الخاصة ما يابن لباس العراقي والشامي^٥ وللفارسي والطاغستاني ازياء يختلف بعضها عن بعض على قرب الجوار وكذلك البلوجستاني والافغاني والصيني والهندي والبجاري والجاوي والبناتي والنجاري والسوداني والصومالي فكل من هؤلاء الاجناس زي خاص بروؤوسهم ولباسهم فمن برنس الى عمامة خضراء او بيضاء الى طربوش اسود او احمر الى عقال وكوفية الى بادة وقبة قش او صوف الى قلنوسة وعرقية وكها تدور على وقاية الرأس من لافح الحر وناخ البرد وقد يختلف هذا الزي في القطر الواحد نفسه والبلد الواحد ولا يعلل ذلك إلا بتشتت الاهواء واختلاف التربة والملكات خصوصاً في اهل قطر قضي عليه ان يكون مزيجاً من اجبال الناس وعناصر بني آدم. حتى ظن مرة احد سياح الافرنج وهو يجول في شوارع دمشق وقد رأى اختلاف الناس في ازياهم وهندامهم وشاهد انواع الالبسة والاكسية ان عند القوم مرفعاً (كرنفال) لبس له كل ما يغش به صاحبه لتتقلب سمته وسمته لما رأى من وجه الشبه بين سكان تلك الحاضرة واهل بلاده في اكتساء بعض ابنائها اكسية غريبة للاستفحاك والمزاح في ايام معلومة من السنة

سرى داء الازياء في اهل هذه البلاد وخصوصاً المسلمين منهم فكان لباسهم مدة ثلاثة عشر قرناً وربع قرن تابعاً لفواعل الزمن وعوامل الحكم والاعظم. ومن العادة ان يتشبه المغلوب بشعار الغالب ومن العادة ان يسنّ عليه الناس العادات ويتشبه بهم سائر طبقات القوم اذ يعتقدون الحسن والمصلحة فيما يصدر عن الكبير ويؤمنون الخير في تقليده. وقد عقد ابن خلدون فصلاً في ان المغلوب مولع ابداً بالافتداء بالغالب في شعاره وزيه ونخلته وسائر احواله وعوائده فما قاله فيه وانظر الى كل قطر من الاقطار كيف يغلب على اهله زي الحامية وجند السلطان في الاكثر لانهم الغالبون لهم حتى انه اذا كانت امة تجاور اخرى ولها الغلب عليها فيسري اليهم من هذا التشبه والافتداء حظ كبير كما هو في الاندلس لهذا العهد من امم الجلالة^(٥)

(٥) جليقية كافر يقية بلد بالروم متاخم للاندلس واليه ينسب عبد الرحمن بن مروان الجليقي من الخارجية بالاندلس والجلافة جيل من الناس (تاج)

فانك تجدهم يتشبهون بهم في ملابسهم وشاراتهم والكثير من عوائدهم واحوالهم حتى في رسم التماثيل في الجدران والمصانع والبيوت

لا جرم ان تغيير الازياء جرى على ما اقتضته حالة المجتمع والسياسة والذوق الخاص بل تصرف على قاعدة بقاء الانسب وارتقاء الازمان . فان المنصور لما رأى الحاجة ماسة الى الاتحاد في لباس الرأس وكانت بدأت المدينة تدب في اعصاب أمته ودولته الزم الرعية على ما روى الذهبي بلبس القلائس الدنية مشبهة بالدين^(٦) في طول شبرين تعمل من ورق على قصب وتغشى بالسواد قرية الشبه من الشربوش . قال ابن الاثير وسنة ١٥٣ اخذ المنصور الناس بتلبس القلائس الطوال المفرطة الطول فقال ابو دلالة

وكنا نرجي من إمام زيادة فزاد الامام المصطفى في القلائس

تراها على هام الرجال كأنها دنات يهود جلت بالاطالس

ولما عزم السلطان محمود العثماني على استبدال البسة الجند والعمال باللباس الاوربي والاستعاضة عن العائم المعجاء والقوايق بالطرايش استصدر فتوى من باب المشيخة الاسلامية في لباس السراويل القصيرة على شرط ان لا تكون ضيقة لئلا يحصل التشبه بالافرنج ثم ضاق السراويل على طول المدى واصبح كسراويلات الافرنج ومعافهم « جاكيتان » وتحسنت حالة الطربوش الى ما نراها عليه لهذا العهد وتوسى انه من لبوس الروم

وبعد فان تغيير العادات من شاق الاعمال لا يعمل فيها الا الأسوة والقُدوة وحس التقليد والزينة فلا تؤثر فيها القوانين الدينية ان وجدت ولا المدنية ان وضعت . قال مونتسكيو في كتابه روح الشرائع اذا اراد الحاكم تغيير عادات امة وطبائعها يجب ان يكون ذلك باستبدالها بغيرها لا بقوة القوانين لان القوانين من وضع الحاكم وخاصة به اما الاخلاق والعادات فهي من وضع الامة عامة . وضع بطرس الاكبر احد اعظم قياصرة الروس قانوناً قضى به على امته ان يحلقوا لحاهم ويلبسوا ثياباً قصيرة كالاوربيين فاقام الجند تكمين في الطرق لتقبض على من خالف هذه الاوامر ونقصر الثياب الطويلة الى قبيل الركبة . قال مونتسكيو وتلك طريقة مجحفة لانه لم يكن من حاجة لهذا الملك ان يضع قانوناً توصل الى هذا التغيير بل كان يتأني له الاكتفاء بفعله هو بنفسه ليتخذ الناس مثلاً

(٦) قال صاحب القاموس دنية القاضي قلنسوة شهت بالدين والدن الراقد العظيم او اطول من الحب او اصغر له سعس لا يقعد الا ان يحفر له قاله الشريشي في شرح المقامة التاسعة للحريري ان اصل الدنية الدنية كسفينة وهي قلنسوة محددة الاطراف بلبسها القضاء والاكاير وليست من كلام العرب وهي عراقية

وقال بنثام الانكليزي في اصول الشرائع وغرض بطرس الاكبر من هذا الامر اما ان يكون ارضاء لهواه الخاص لاستقباحه لباس امته القديم واستحسانه لباس الاوربيين واما ان يكون قصد الى تهذيبهم وجعل اخلاقهم وطباعهم على مثال الاخلاق الاوربية التي كان يعتقد انها احسن طريق توصلهم الى السعادة فرأى ان التشبه في الاخلاق يلزم ان يتقدمه التشبه في اللباس ليتجانس الفكر بين الاثنين . وقال ان مجلس النواب الانكليزي اصدر قانوناً سنة ١٧٤٥ يقضي به على سكان جبال ايكوسيا ان يخلعوا لباسهم المثلّي وكان الغرض من هذا القانون امرّاً سياسياً لان هؤلاء الجماعة تعلقوا بهذا اللباس واحنقوا سكان السهول لاكتسائهم الاكسية الاوربية من عهد بعيد فلما لبس زعيم اولئك الجبليين هذا اللباس العتيق اغتروا طرباً منه وانضوا تحت لوائه وثاروا على الحكومة فاخضعتهم واطفأت ثائرهم وطمعت حينئذ في ابطال هذا اللباس وكان يهيج في نفوسهم افكاراً قديمة تجعلهم حزباً واحداً وما كان هذا الامر لينسيهم ذاك اللباس بل كانت ذكراه تجدد على المدى ودام العمل على هذا خلال نصف قرن تقريباً حتى ظهر للحكومة ان لا فائدة فيه وثبت لها وجه ضرره فالفته واصبح رجال هاتيك الجبال من اعظم ابطال الجنود واهل الاخلاص من رجال السيف عند الانكليز ولا بعد ان تفر همهم وتضعف عزائمهم لو عاملتهم انكاثوا بالاكره والقسر نتج من هذه القواعد ان الحاكم اذا اراد احدث تغيير مهم في الامة يجب عليه ان يسير الهويئا ويتجانب الطيش والتطرف تفادياً من ايقاد نائر الشهوات وتحريك النفوس على الانتفاض مما عساه يغضبه ويوغر صدره وليجتهد ما استطاع ان لا يوجد له اعداء شملهم اللباس . والاشبه به ان يلاطف الجميع ويوفق بين غرضه ومراضتهم ويحترم المنافع كافة ويعوض على الخاسرين ويتعد مع الزمان كيفاً كان لان الزمان اكبر مساعد على كل تغيير فهو كالكيماوي يوافق بين المتضادات ويدلل عامة العقبات ويجذب قلوب المخالفين ولا ينبغي للانسان متى كانت القوة الحقيقية في قبضته ان يستخدمها ليريهما الناس بل الاجدر به ان يكشف عنها نصف الغطاء لان ذلك ادعى الى النجاح . انتهى

وجملة القول فان اللباس ذوقاً حاجيًّ تعمل في تغييره السادات والعادات لا الشرائع والنظامات . والجهاد يغلب فيه الاقوياء ويجبن الضعفاء . وما ابعد ان من قدروا ان يصرفوا على المشرق ضروباً من مذاهبهم وملابسهم ومطاعمهم ومشاربهم يتسنى لهم يوماً ان يصبغوا العالم كله بصبغتهم في كل حال من احواله ليساووهم حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل او يأتي على الجالدين تيار مدينة الغرب فيجعلهم صرعى كاعجاز نخل خاوية محمد كرد علي

الخصومة والقضاء عند العرب

كان العرب في جاهليتهم يثاجدون ويتنافرون وينفخرون وكل ذلك عندهم خصومة تقتضي قضاء. والماجدة أو المجاد أن يدعي كلٌّ من الخصمين أنه أعزُّ شأنًا من الآخر ويتباريان في ذبح الجوزور وذلك نظير ما حدث بين حاتم وبني لام الطائيين. وكان من عجز عن مباراة خصمه بعد مغلوبًا وذلك لأن الماجدة تقتضي مناجدة الأهلين ومن كان أغني عصبه وأعز ناصراً كان جانبه الأقوى. واليك مما جادة حاتم وبني لام. خرج الحكم بن أبي العاصي بن أمية (وهو أبو مروان مؤسس الدولة المروانية) يريد الحيرة ومعه عطر وكان في الحيرة سوق يجتمع إليها العرب كل سنة وكان النعمان بن المنذر ملك العرب قد جعل لبني لام الطائيين ربع الطريق طعمة لهم وذلك لأن بنت سعد بن حارثة بن لام كانت زوجة له. ومرو الحكم بن أبي العاصي بجاتم الطائي فسأله الجوار في أرض طي حتى يصير إلى الحيرة فاجاره. وعلم بذلك بنو لام فارادوا خفر ذمتهم سعيًا وراء منفعتهم الخاصة فثار الخصام بينهم وبين حاتم وابتدروا إليه بالنصال فناجزهم وترك في بعضهم أثراً وأسرع القوم اليهم فحجزوا بعضهم عن بعض وقال بنو لام بيننا وبينك سوق الحيرة فمجادك ونضع الرهن. ففعلوا ووضعوا تسعة أفراس ثم خرجوا حتى انتهوا إلى الحيرة وسمع بذلك إياس ابن قبيصة الطائي تخاف أن يعينهم النعمان ويقومهم بماله وسلطانه فجمع رهطه من بني حية وقال لهم ان هؤلاء القوم أرادوا أن يفضحوا ابن عمكم في مجادته فقال منهم رجل عندي مئة ناقة سوداء ومئة ناقة حمراء ادماء وقال آخر عندي عشرة حصن على كل حصان منها فارس مدحج لا يرى منه إلا عيناه وقال حسان بن جبلة الخير فد علمتم أن أبي قد مات وترك مالا كثيرا فعلي كل تمر أو لحم أو طعام ما أقاموا في سوق الحيرة. ثم قام إياس فقال علي مثل جميع ما أعطيتكم كلكم. ثم أت إياس قال إسماعيل إلى الملك النعمان وكان به نقرس فحمل حتى أدخل عليه فقال انعم صباحاً أيت اللعن. فقال النعمان وحيّاك الهك. فقال إياس أتمد أخثانك (أي أنسباء زوجتك) بالمال والخيول وجعلت بني ثعل في قعر الكنانة اظن أخثانك أن يصنعوا بجاتم كما صنعوا بعامر بن جوين ولم يشعروا أن بني حية بالبلد فان شئت ناجزناك حتى يسفح الوادي دمًا فليحضروا لمجادهم عند جمع العرب. فقال النعمان يا إسماعيل لا تغضب فاني سأكفيك. وأرسل النعمان إلى أخثانه انظروا ابن عمكم حاتمًا فارضوه. فخرج بنو لام إلى حاتم ونزلوا له عمًا بينهم وبينه. والمتحصل من هذه الرواية المنقولة باختصار عن ديوان حاتم أن الفئتين المتجادتين كانتا تتحاربان بدليل

قول احد نصراء حاتم "عندي عشرة حصن على كل حصان فارس مدحج لا يرى منه الا عيناه" فلم يكن هناك اختبار فراسة وبأس لما اقتضى التدحج

اما المنافرة ويراد بها المحاكمة لدى قاض في من من الخصمين اعز نفراً كقول النجاشي وان شتمت نافرتم عن ايكم الى من اردتم من تهمام ومنجد

ويسمى النفار منافرة ومن ذلك ما كان بين جرير بن عبدالله الجيلي وخالد بن اوطاة الكبي وبها انهما اختلفا ايها اعز نفراً فقال خالد لجرير ما تجعل قال الخطر في يدك قال خالد الف ناقة حمراء في الف ناقة حمراء قال جرير الف قينة عذراء في الف قينة عذراء وان شئت فالف اقية صفراء لالف اقية صفراء . قال خالد من لي بالوفاء قال جرير كفيلك اللات والعزى واساف ونائلة ويعوق ونسر فمن عليك بالوفاء . قال خالد ود ومناة وقلس ورضا^(١) قال جرير لك بالوفاء سبعون غلاماً يوضعون على ايدي الاكفاء من اهل الله . فوضعوا الرهن من بجيلة ومن كلب على ايدي عتبة بن ربيعة بن عبد شمس في اشراف من قريش وحكموا الاقرع بن حابس وكان عالم العرب في زمانه . فقال الاقرع ما عندك يا خالد فقال نزل البراح ونطعم بالراح ونحن فتيان الصباح^(٢) فقال الاقرع ما عندك يا جرير قال نحن اهل الذهب الاصفر والاحمر المعتصر نخيف ولا نخاف ونطعم ولا نستطعم ونحن حي لقااح نطعم ما هبت الرياح نطعم الشهر ونضمن الدهر . فقال الاقرع واللات والعزى لو فاخرت قيصر ملك الروم وكسرى عظيم فارس والنعمان ملك العرب لنفرتك عليهم

واشهر منافرة في الجاهلية منافرة عامر بن الطفيل مع علقمة ابن الاحوص حين قال له علقمة الرئاسة لجدي الاحوص وانما صارت الى عمك ابي براء من اجله وقد استسن عمك وقعد عنها فانا اولي بها منك وان شئت نافرتم . فقال له عامر قد شئت والله لانا اشرف منك حسباً واشت نسباً . واطول قصباً . فقال علقمة انافرك واني لبر وانك لفاجر . واني لولود وانك لعاقر . واني لواف وانك لغادر . فقال انافرك اني اسمي منك سمة . واطول قمة . واحسن لمة . واجعد حمة . وابعدهمة . فقال علقمة لانا انافرك اني انا جميل وانت قبيح ولكني انافرك اني اولي بالخيرات منك . فخرجت ام عامر فقالت نافرته ايكما اولي بالخيرات ففعلوا على ان جعلوا مئة من الابل بعطيا الحكم الذي ينفر عليه صاحبه . فخرج علقمة ببني خالد بن جعفر وبني الاحوص ومعهم القباب والجرر والقذور ينحرون في كل منزل ويطعمون وخرج عامر ببني مالك وقال انها لمقارعة

(١) كلها اسما اصنام كانت العرب تعبدھا (٢) البراح المتسع من الارض لا زرع بها . كناية عن كثرة عددهم . وفتيان الصباح اي فتيان الغارات لان اكثر الغارات تقع صباحاً كناية عن باسهم

عن احسابكم فاشخصوا بمثل ما شخصوا به وقال لعمري ابي براء اعني فقال سبني فقال كيف اسبك وانت عمي فقال وانا لا اسب الا حوص وهو عمي . ولم ينهض معه فجعلنا منافرتهم الى ابي سفيان بن حرب بن امية ثم الى ابي جهل ابن هشام فلم يقولوا بينهما شيئاً ثم رجعا الى هرم الفزاري فقال نعم لاحكم بينكما فاعطيانى موثقاً اطمنن به ان ترضيا بحكمي وتسلما لما قضيت بينكما ففعلا . فاقاما عنده اياماً ثم ارسل الى عامر فاته سرّاً فقال قد كنت احسب ان لك رأياً وان فيك خيراً وما حبستك هذه المدة الا لتنصرف عن صاحبك اتنافر رجلاً لا تفر انت ولا قومك الا بابائه فما الذي انت به خير منه . فقال عامر نشدتك الله ان لا تنفل علي علقمة فوالله لئن فعلت لا اُفلق بعدها ابداً هذه ناصيتي فاجزها واحتكم في مالي فان كنت لا بد فاعلاً فسوّ بيني وبينه . فقال انصرف فسوف ارى من آرائي . فانصرف عامر وهو لا يشك انه ينفره عليه ثم ارسل الى علقمة سرّاً فقال له ما قال لعامر وقال له اتفاخر رجلاً هو ابن عمك في النسب وابوه ابوك وهو مع ذلك اعظم منك غناء واحمد لقاء واسمح سباحاً فما الذي انت به خير منه . فرد عليه علقمة ما رد به عامر وانصرف وهو لا يشك انه ينفر عامراً عليه . فارسل هرم الى بنيه وبني اخيه وقال لهم انني قائل فيهم غداً مقالة فاذا فرغت فليطرد بعضهم عشر جزائر^(٢) فلينجرها عن علقمة وليطرد بعضهم مثلها فلينجرها عن عامر وفرقوا بين الناس لا يكونوا بينهم جماعة . ثم اصبح هرم فجلس مجلسه واقبل عامر وعلقمة حتى جلسا فقال هرم انكما يا ابني جعفر قد تحاكمتما عندي وانتما كركبتي البعير ثقعان الارض وليس فيكما واحد الا وفيه ما ليس في صاحبه وكلاكما سيد كريم . ولم يفضل واحداً منهما على صاحبه لكيلا يميل بذلك شرّاً بين الحيين ونجر الجزر وفرّق على الناس . وقد زعم الاعشي انهما حكاه والناس قصيدة من غرر الشعر جاء بها على بعض ما يعدونه مولي الاثرة بالشرف منها

ان الذي فيه تماريتنا بين السامع والناظر^(٤)
 علقم لا تسفه ولا تجعل عرضك للوارد والصادر^(٥)
 علقم ما انت الى عامر الناقض الأوتار والواتر
 ان ترجع الحق الى اهله فلست بالمسدي ولا النائر^(٦)

(٢) جمع جزور لما يذبح من الابل
 (٣) اراد بها مهلاً ولذلك ذكر الوارد والصادر استعارة تخيلية
 (٤) المسدي هو السدي بالفتح
 (٥) والقصر وهو ما مد من الثوب الناعم اسم فاعل من نرت الثوب نيراً اي جعلت له نيراً وهو علم للثوب وعظم
 (٦) ولحنه وهذا هو المراد هنا وهذا مثل بضرب في النبري من الشيء كقولهم لا في العبر ولا في النبري

ولستَ بالسلم بذى نائلٍ ولستَ في الهيجاء بالجاسر
ولستَ بالاكثير منهم حصي وانما العزة للكثير^(٧)
ولستَ في الاثرين من مالك ولا ابي بكر اولى الناصر^(٨)
هم هامة الحى اذا ما دُعوا ومالك في السؤدد الفاخر^(٩)
سدت بني الاحوص لم تعدهم وعامرٌ ساد بني عامر
سادَ وألنى قومه سادة وكابرٌ سادوك عن كابر
فاصبر على حظك مما ترى فانما الفلج مع الصابر^(١٠)
حكمتوه فقضى بينكم ابلج مثل القمر الباهر
لا يأخذ الرشوة في حكمه ولا يبالي غيب الخاسر
وأولَ الحكم على وجهه ليس قضائي بالهوى الخائر
قد قلتُ شعري فمضى فيكما فاعترف المنفور للنافر

وكانوا يسمون الدعوى قضية قال الصلتان العبدى في فصله بين الفرزدق وجربير
انا الصلتان والذي قد علمتُ متى ما يحكمكم فهو في الحكم صاعدُ
اتنني تميم حين هابت قضاتها واني لبالفضل المبين قاطعُ
كما انشد الاعشى قضية عامر وما لتيتم عن قضائي راجعُ
ولم يرجع الاعشى قضية جعفرٍ وليس لحكمي آخر الدهر راجعُ
ومن هذا القول نستخلص ان الحكم عندهم كانت اعادة النظر فيه جائزة وذلك بمثابة
استئناف وتميزه عندنا ولكن بعض الاحكام كان لا رجوع فيها كما قال الصلتان "وليس لحكمي
آخر الدهر راجع" وكما قال ذو الاصبع العدواني

ومنأ حكم يقضى فلا ينقض ما يقضى

وهذا اشبه بحكم المحكمين في هذا العصر اذا اشترط في تحكيمهم ان لا استئناف ولا تميز
بنقض حكمهم وهو وجه شرعي معمول به قديماً وقد نص عليه دستور الاحكام العثماني
وقد افادنا الصلتان بقوله "اتنني تميم حين هابت قضاتها" ان بعض القضاة كانوا يستعفنون

(٧) الحصى مجاز مرسل يراد به العدد والمراد به هنا عدد الاعوان

(٨) الاثرين جمع اثرى اي ذي ثروة . ومالك هو جد عامر بن الطفيل بن مالك . وابو بكر عم جده
وهو عبيد بن كلاب بن ربيعة

(٩) هامة القوم استعارة تحقيقية اي اشراف القوم

(١٠) الفلج الفوز وهو استعارة تمكينية كما قال الخطيب في هجاء الزبرقان

من القضاء في بعض الدعاوي وقد جرى ذلك كثيراً عندهم ومن ذلك ما ورد معنا في منافة عامر وعلقمة انهما جعلاً منافتهما الى ابي سفيان والى ابي جهل فلم يقولوا شيئاً اي انهما استغنيا اما مقاطع الحكم عندهم فقد ذكرها زهير بن ابي سلمى المزني في قوله
فان الحق مقطعة ثلاث يمين او نفاً او جلاء

وهذه المقاطع هي قوام احكام الشريعة الاسلامية ولذلك قال عمر بن الخطاب لو ادرك زهيراً لوليت القضاء . فالجلاء الاقرار والنفاً الشهود واليمين معروف ولا مقطع بعد وكانوا يضعون وضع اليد بالمنزلة التي تضعها فيه احكام هذا العصر ولذلك احتج بسنان ابن النحل الطائي في خصومة على بئر قال

فان الماء ماء ابي وجدي وبثري ذو حفرت وذو طويت

اما قضاة العرب فكانوا من ساداتهم المشاهير فلا ينال هذه المرتبة الا من عرف بالروعة وعلو الهمة وسداد الرأي قال زهير بن ابي سلمى يمدح سنان بن ابي حارثة المري
مضى يشجر قوم يقل مرواتهم هم يبننا فهم رضى وهم عدل^(١)
هم جددوا احكام كل مضلة من العقم لا يلقي لامثالها فصل
بعزمة مأثور مطيع وأمر مطاع فلا يلقي لحزمهم مثل

وقد ورد معنا اسماء بعض من كانوا يتقاضون اليه ومنهم ايضاً القلمس وفيه نقول هندبت الخس الايادية احدى شهيرات نساء العرب وقد تحاكمت اليه هي واختها خنعة
اذ الله جازى منعاً بوفائيه فجازاك عني يا قلمس بالكرم

ومما يجدر بي ان اذكره انهم كانوا يجيزون للحكم ان يحكم قبل ان يسمع كلام الخصمين وشاهد ذلك ما ورد عن منافة هاشم بن عبد مناف وابن اخيه امية بن عبد شمس بن عبد مناف فانهما تنافرا الى الكاهن الخزاعي في خمسين ناقة سود الحديق ينجرها بيطن مكة والجلاء من مكة عشرين ناقة فخرج كل منهما في نفر فنزلوا على الكاهن فقال قبل ان ينجره خبره والقمر الباهر والكوكب الزاهر والغمام الماطر وما بالجو من طائر وما اهتدى يعلم مسافر من ينجد وغائر لقد سبق هاشم امية الى المناخر . فنفرها شماً وقال لامية تنافر رجلاً هو اطول منك قامته واعظم منك هامة واحسن منك وسامة واقل منك لامة واكثر منك ولداً واجزل منك صفراً . فقال امية من انتكاث الزمان ان جعلناك حكماً
امين ظاهر خير الله

دع الخصام لا ترحل لبغيتها واقعد فانت لعربي الطاعم الكاسي
(١) اشجر قوم اختلفوا وسرواتهم ساداتهم . ورضى مرضيون وعدل عادلون

مدارس الامة في المانيا

في نصف القرن الأخير تقدمت الأمة الالمانية تقدماً عظيماً نادر المثال في تاريخ الشعوب وارتفعت الى ارفع الدرجات في العلوم والمعارف والصنائع والفنون والحياة العائلية والاجتماعية والسياسية الى غير ذلك وهذا التقدم السريع يعزى الى اسباب اخصها مدراسها والمدارس العالية من جامعة وكلية وفنية والمدارس الابتدائية البسيطة التي يدخل فيها ويخرج منها تسعة اعشار اولاد الشعب. الى هذه المدارس الاخيرة وجهت الامة الالمانية من عهد بعيد مزيد اهتمامها ورعايتها علماً انه اذا زرع في هذه الحقول بزور العلم والفضيلة والاجتهاد والامانة ومحبة الوطن والاعتماد على النفس لا بد ان تنمو وتزهو وتاتي باثمار يانعة تعود بالخير العميم على الامة والوطن. ولقد اصاب وأجاد احد الفرنسيين بقوله الالمان بعد حرب السبعين "لم تغلبونا انتم انما غلبنا امهاتكم ومدارسكم"

ان تاريخ المدارس والتدريس في المانيا لحد زمن الاصلاح الديني الذي نشأ في القرن السادس عشر سقيم جداً فلم يكن فيها لحد ذلك الحين الا مدارس قليلة العدد مبنية على الغالب الى جانب بعض الاديرة وكان يعلم فيها القراءة والكتابة وما يلزم لممارسة الخدمة الدينية في الكنائس وكان اكثر المدرسين وقتئذٍ على جانب عظيم من الجهل والجفاوة يعاملون الصغار احياناً معاملة بربرية ثم قام المصلحون وفي مقدمتهم لوثيروس الشهير واقنعوا الامراء والحكام والاهلين بان مسئوليتهم عند الله عظيمة من جهة تعليم الاحداث وتهذيبهم وبوجوب فتح مدارس كثيرة في كل مدينة وقرية فوقعت مناداتهم احسن موقع وشيدت الوف من المدارس وتحسنت اساليب التعليم نوعاً. ولكنك الطالع انتشبت بعد ذلك الحروب الدينية الدموية التي دامت عشرات من السنين ودمرت البلاد تدميراً وصيرتها خراباً بلقعاً فذهبت بكل حياة ادبية وعقلية ومحت آثار المدارس الحديثة النشأة من البلاد. ثم بعد ان الفت الحرب اوزارها وساد السلام لم يستطع الاهالي ارجاع ما سلف الا. رويداً رويداً نظراً لتقرهم واضطرارهم الى ترميم ما تهدم من البيوت. غير ان الميل الى فتح المدارس كان قد غرس في الصدور ومن ذلك الحين اخذ امراء المانيا ولاسيما ملوك بروسيا يهتمون مزيد الاهتمام بالمدارس وفريدريك الكبير اوّل من جعل التعليم الزامياً في بلاده وألف بمساعدة احد العلماء نظاماً مدرسياً لا يزال يعمل به في اهم مواد. وقد قام في بلاد المانيا افاضل كثيرون نظير كومينيوس وبستالوتسي وديسترفك وضخوا النفس والنفيس في تحسين المدارس وترقية شأنها واختراع احسن الاساليب للتعليم

ودرس طبائع الاولاد واحوالهم النفسية درساً مدققاً والقوا من ذلك علماً نفيساً في باب
 سموه البيداغوجيا ويندرج تحته علم البسخولوجيا (علم الظواهر العقلية والنفسية) واصل
 التربية والتعليم واساليب التعليم القديمة والحديثة وتاريخ المدارس والتدريس يدرسه المعلمون
 كما يدرس المهندس فن البناء وكما يدرس الطبيب فن الطب

وما تمتاز به المانيا تهذيب معلمها احسن تهذيب في مدارس خصوصية سميت سميناري
 وقد علم بالاخبار ان ليس كل عالم او علامة يصلح ان يكون معلماً كما ان ليس كل من
 عنده مواد البناء كالخجارة والجير والرمل يصلح ان يسمى بناءً ماهراً . ولقد اصاب من قال " كم
 من علامة كبر مخنوم بلا نفع وكمن عويل كنهج جار كثير الفائدة " . ان العالم يتكلم غالباً
 امام الاولاد الصغار عن افكاره الرفيعة بكلام يعلو عن مداركهم وافهامهم فلا يستفيدون
 منه وان استفاد احد شيئاً فرمية من غير رام . وقد وجد ايضاً بالاخبار ان تدريس الاولاد
 كما يجب ان يكون من اصعب الامور . وهذه الصناعة قلما يتعلمها الانسان من تلقاء نفسه دون
 ان يسقط في اغلاط كثيرة سقط فيها غيره قبله ويختبر اخبارات تذهب بلذته من
 التعليم وذلك كان الداعي قبل نحو مئة سنة الى انشاء مدارس خصوصية لتعليم المعلمين افرزت
 عن سائر المدارس العالية . من هذه المدارس ليف وسبعون مدرسة في بلاد المانيا يدخلها
 التلامذة في سن الخامسة عشرة ويدرسون فيها خمس سنوات متوالية العلوم الدينية والطبيعية
 والرياضية واللغوية والموسيقى والتصوير وفن التعليم علماً وعملاً والى جانب كل منها مدرسة
 ابتدائية يقبل فيها اولاد الفقراء مجاناً وفيها يتركون المنتهون في السنة الاخيرة على التعليم بارشاد
 معلمين ماهرين في التدريس يعلمون احياناً امام التلاميذ مثائل لتمثل بها ويطلب من كل من
 التلامذة ان يكتب مثائل في كل فروع التعليم كلمة فكلما ثم يلقيها على استاذهم ورفاقه

اما المدارس الابتدائية في المانيا فقد بلغت درجة عالية من الكمال وهي جديرة بان يمثل
 بها وقد شادتها الحكومة الالمانية على نفقتها مراعية صحة الاولاد وراحتهم ورفاهتهم وجهتها
 احسن تجهيز بما لا غنى عنه في تعليم الاولاد نظير المقاعد والمكاتب والخرائط والالواح وغيرها
 وطبعت الكتب المدرسية في مطابعها وجعلت اثمانها رخيصة جداً حتى لا يتعذر على اولاد
 الفقراء اقتناؤها . والمعلمون العاملون فيها هم مستخدمو الحكومة يتناولون رواتبهم منها وقد
 حفظت لنفسها حق مراقبة المدارس والمعلمين . والتعلم فيها الزامياً فمن لا يرسل ابنه الى
 المدرسة يقع تحت طائلة العقاب . ويدخل فيها الاولاد في سن السادسة او السابعة وينتهون في
 الثالثة عشرة او الرابعة عشرة وساعات التعليم فيها اربع قبل الظهر واثنان بعده ما عدا

الارباء والسبت وفي كل مدرسة لأئحة سياق الدروس من السنة الاولى الى الاخيرة ويطلب من المعلم في بداية السنة ان يعين الدروس المزمع ان يدرّسها لكل اسبوع ولكل يوم وساعة . ويتنضي ان يستعد استعداداً كافياً لكل درس . ويعاب على المعلم ان يتقيد بالكتاب او ان يقرأ الدرس منه قراءة . وما يعني به كثيراً تعليم الاحداث والغالب ان يوكل تعليمهم لامهر المعلمين واكثرهم اخبائراً ولا يقصد بالتعليم دس مقدار معين من العلوم والمعارف في عقول التلامذة بل تهذيب كل قوى الانسان الادبية والعقلية والبدنية وايقاظ الفضائل والمواهب المكتونة في التلاميذ وانماؤها وامانة الاميال الفاسدة والافكار الاثيمة . ونظراً لتدني الشعب الالمانى جعل المعلم الديني المقام الاول في كل المدارس الابتدائية وفضلاً عن ذلك يعلم فيها لغة البلاد جيداً من قراءة وصرف ونحو وانشاء والخط والحساب ومبادئ التاريخ والجغرافية والطبيعات والترنيل والتصوير والرياضة البدنية . ويندر ان يعلم فيها لغة اجنبية كالاخرسية او الانكليزية ويبدل المعلمون غاية الجهد في جعل التعليم ملذاً ومفرحاً للاولاد

واساليب التدريس الحديثة تختلف اختلافاً كلياً عن الاساليب القديمة في القراءة مثلاً وجدوا ان ذكر اسماء الحروف وقت التهجئة يلقي الاشكال في ذهن الولد الصغير ولكن يسهل عليه القراءة اذا ذكرت له اصوات الحروف فقط . وكانوا يشرعون في تعليم الحساب في سنة التعليم الثالثة او الرابعة يجمع اعداد كبيرة فصاروا يبدأون في سنة التعليم الاولى بتعليم الاعداد الاولى من الواحد الى التسعة وبتعليم الجمع والطرح والضرب باعداد قليلة ويرى الصغار كل ما يحسبونه مثلاً امامهم على الاصابع او على محسبة (آلة حسابية) . وفي الجغرافية كانوا يبدأون بالكرة الارضية فالفارقات فالبجار فصاروا يبدأون بالمدرسة فالبلدة فالمدينة فالولاية فالمملكة فالممالك فالكرة الارضية . وفي الخط لا يبدأ بكتابة حروف وكلمات بل تمرّن اليد اولاً ساعات متوالية على رسم خطوط مستقيمة ومنحنية ودوائر وغيرها وقس على ذلك في سائر العلوم . وقد وضعت للتعليم هذه القاعدة الذهبية وهي: من السهل الى الصعب ومن القريب الى البعيد ومن البسيط الى المركب ومن المعلوم الى المجهول ومن النظري الى العقلي

وما يسر ويهيج ان تنظر الى مدرسة حسنة الترتيب فيها معلم امين يحترمه التلاميذ ويحبونه كابحنون وكلهم عيون ناظرة واذان صاغية يلتقطون من فيه درر الفوائد والآداب والفضائل وحذا لو كان اولياء الامور في بلادنا يهتمون بالمدارس الابتدائية ويختارون لها احسن النظامات المدرسية عند ارقى الامم الاوربية ويهتمون باعداد المعلمين في احسن المدارس فتترقى المدارس الابتدائية وبها تترقى الامة والوطن

خزان اصوان وبجيرة مورس

(تابع ما قبله)

إذا أُعْلِيَ خزان اصوان بوجه الالتفات الى وادي الريان ويستخدم كما استخدمت بجيرة مورس في عهد الفراعنة فيخزن فيه الفا مليون متر مكعب من الماء تستخدم لامداد النيل في زمن انحراقه ويعترض على وادي الريان انه اذا جعل خزاناً مد النيل كثيراً في ابريل ومايو وقليلاً في يونيو واول من ذلك في يوليو فلم اشر باستخدامه في تقرير الذي رفعته الى الحكومة المصرية سنة ١٨٩٤ ولكن اذا تم خزان اصوان وصار يخزن فيه الفا مليون متر مكعب من الماء امكن حينئذ استخدام وادي الريان كما تسمح به حالة النيل فان خزان اصوان مرتفع عن سطح النيل ويمكن اجراء الماء المخزون فيه رويداً رويداً او بمقدار كبير واما وادي الريان فجريان الماء منه الى النيل متوقف على الفرق بين سطحه وسطح النيل في الارتفاع لان ارتفاع سطح الماء فيه عن سطح ماء النيل قليل جداً فيقل الجاري منه الى النيل رويداً رويداً بتقديم فصل الصيف ولا يكون في آخر الصيف ربع ما كان في اوله

لفرض ان الخزان تم حسب المراد ووادي الريان صنع خزاناً ماء الفيضان وانهما كليهما امتلاً ماءً وكان ذلك في اول ابريل فيفتح خزان وادي الريان ويمد النيل بكل ما يراد ان يمد به في ذلك الشهر ولا يفتح خزان اصوان حينئذ . وفي شهر مايو يجري كل الماء المطلوب من وادي الريان ولا يجري الا شيء قليل من خزان اصوان . وفي يوليو يجري كل الماء المطلوب من اصوان وقليل جداً من وادي الريان فيكون خزان اصوان ووادي الريان يمتلئان احدهما للآخر فيفيان كلاهما معاً بحاجة القطر المصري

ووادي الريان منخفض في الصحراء جنوبي الفيوم مفصول عنها بحرف من الصخر الكبي وقد اشار الكولونل وسترن بعمله خزاناً سنة ١٨٨٨ ووافق الكولونل روس على ذلك وهو اول مفتش عام للري . ولما غادر الكولونل وسترن القطر المصري فوض اليّ درس هذه المسألة وأرسل المستر هيوت والمستر كلفتن لعمل التصميم النهائي ونشرت الحكومة المصرية الرسوم والتقارير سنة ١٨٩٤ . وقد اضطرت حينئذ ان ارفض هذا المشروع بسبب الخلل الوحيد الذي اثيرت اليه آنفاً لكن هذا الخلل يزول باتمام خزان اصوان وهذا هو الذي اشير به واجب بعمله . وقد كان عند القدماء خزان مثل وادي الريان وهو بجيرة مورس كان معدوداً من عجائب الدنيا السبع وقد ابان السرهنبري برون في كتابه عن الفيوم وبجيرة مورس ان تلك

البحيرة كانت تغطي مديرية الفيوم واول من وصفها هيروودوتس المؤرخ الذي كان قبل المسيح نحو ٤٥٠ سنة فقال ان في بلاد مصر بحيرة كبيرة تسمى بحيرة مورس لتستحق ان تسمى بحراً لكرها ولونها تكون البحر ينصب اليها ماء النيل وقت فيضانه فتتبع تغريقه للبيوت والجنائن وحينما يخط النيل يعود الماء منها اليه من مجريين ويستخدم للري وعلى المجريين قناطر موازنة للتحكم في الماء وهو جار الى البحيرة وراجع منها

وقال ديودورس الصقلي في نحو ذلك الوقت ان الملك مورس حفر بحيرة كبيرة جداً لان فيضان النيل لا يجري دائماً على وتيرة واحدة وزراعة البلاد فتوقف على انتظام فيضانه فحفر البحيرة لكي ينصب اليها الماء الزائد وانشأ لها ترعة من النيل طولها ٨٠ غلوة وعرضها ٣٠٠ قدم يجري الماء بها ذهاباً واياباً

وقد اختلف الناس كثيراً في موقع هذه البحيرة ولكن كتاب السرهنبري برون ازال كل ريب فقد بين فيه انها كانت تغطي كل مديرية الفيوم تحت الحد المرتفع عن سطح بحر الروم $221/2$ متر ولا تزال اصداف النيل موجودة بكثرة على هذا الحد . وبلغ حد الفيضان الآن في حوض قشيشة $261/2$ متر فوق سطح بحر الروم وقد كان حده اوطأ من ذلك اربعة امتار في عهد الملك امنمحات منذ اربعة آلاف سنة اي كان $221/2$ متر فوق سطح بحر الروم وهو الحد الذي كان يمكن ان تبلغ البحيرة اليه حينئذ . الا ان وادي النيل ارتفع عشرة سنتيمترات كل مئة سنة من ذلك الحين الى الآن ثم تجمع الطمي في تلك التربة على مر الزمان فانسدّت بعد ان به الماء يجري فيها في سنة

وقد كانت الاتصال بين بحيرة مورس والنيل موجوداً في عهد الملك مينا كما اخبرني الاستاذ سايس ولكن الملك امنمحات من الدولة الثانية عشرة وسعّه وعمقه وازال الحواجز الصخرية منه وجعل البحيرة بحراً يعدل فيضان النيل . لقد كان اولئك الفراعنة جبابة في اعمال الري وكانوا حكماء كما كانوا اقوياء

وقد وصف السرهنبري برون تلك البحيرة فقال ان مساحة سطحها كانت ٢٥٠٠ كيلومتر مربع واذا كان الفيضان عظيماً انصب اليها منه عشرون الف مليون متر مكعب من الماء فتعدل الفيضان مهما كان عالياً . واذا كان الفيضان قليلاً ولم تستعمل الدقة في اجراء الماء اليها فقد يجرم الوجه البحري من التنبيل اي تبقى ارضه شراقي ولم يكن حينئذ ري غير التنبيل

ولقد قلت مراراً ان المستركوب هو يتهوس اصاب في قوله ان هوار المكسوس هو هرم هواره الموجود الآن حيث يوجد هرم اللغز وحيث كانت قناطر الموازنة لدخول المياه الى

بحيرة مورس . وقناطر الموازنة كانت اثنتين الواحدة سيفي اللاهون وهرم اللاهون عند طرفها الشمالي وهناك الآن قرية هواره عجلان وقرية اللاهون والثانية مجرى مخفور في الصخر حيث يوجد بحر يوسف الآن وهناك جسر كبير وقرية هواره المقطع وهرم هواره عند الطرف الشمالي وبينه وبين الجسر اللغز او هيكل القناطر (لبيروهنت) وهو مثل حصن نقيم فيه حامية تمنع من يحاول الوصول الى الجسر وقطعه وعلى الجانب الآخر من الجسر هواره المقطع وكانت جزيرة حصينة يحيط بها الماء وكان بين الموازنتين عشرة كيلومترات وعليه كانت موازنة هواره مفتاح مصر ومن يتسلط عليها يتحكم في رعي الوجه البحري

(وافاض الخطيب هنا في بحث تاريخي الى ان قال) ولترك الآن بحيرة مورس القديمة التي صارت ارضاً زراعية مساحتها ٤٠٠٠٠٠ فدان وقيمتها اكثر من ٨٠ مليون جنيه ولزيج الى بحيرة مورس الحديثة اي وادي الريان الذي يمكن ان يصير بحيرة كببحيرة مورس القديمة يدفع عن القطر غائلة الغرق ويمد النيل وقت التخاريق وادي الريان كما قلت سابقاً منخفض في الارض جنوبي الفيوم تبلغ مساحة سطحه على ٢٩ متراً فوق سطح البحر ٧٠٠ كيلومتر مربع اي نحو ربع مساحة بحيرة مورس القديمة واسفلها اوطأ من سطح البحر بواحد واربعين متراً فاذا ملئ ماءً بلغ عمق الماء فيه ٧٠ متراً ولكن لا ينصرف منه حينئذ الا ما عمقه اربعة امتار وخمسة او نحو ثلاثة آلاف مليون متر مكعب وهو يساعد على تخفيف وطأة الفيضان الزائد ومنع الغرق ولكن فائدته الكبرى في امداد النيل وقت التخاريق لاجل الري الصيفي لانه يمدد بالنيل مليون متر مكعب وهي كل ما يلزم لادخال الزراعة الصيفية الى القطر المصري كله

وقد ابنت كيف تكون هذه البحيرة عوناً لخزان اصوان ومرادي ان ابين الآن كيف يجري الماء اليها وكيف يعود منها الى النيل وكما هي النفقة اللازمة لذلك وفي كم سنة تمتلئ ويمكن استعمالها يمكن جعل هذه البحيرة تمد النيل بثلاثة آلاف مليون متر مكعب او جعلها تمتد بالنيل مليون متر مكعب ففي الحالة الاولى يجعل ارتفاع الماء فيها ٢٩ متراً عن سطح بحر الروم وفي الحالة الثانية يجعل ارتفاع الماء فيها ٢٧ متراً فقط فوق سطح بحر الروم وفي الحالين يجري الماء منها الى ان يصير ارتفاعه فيها $\frac{1}{2}$ ٢٤ متر فوق سطح بحر الروم واذا اريد ان يؤخذ منها ماء اكثر من ذلك فيمكن بالآلات رافعة ترفع منها ٢٠٠ متر مكعب كل ثانية من الزمان وبلغ ثمنها ونفقات وضعها ٢٥٠٠٠٠ جنيه ونفقات تشغيلها ٣٥٠٠٠ جنيه كل سنة والآلات الكبيرة الى هذا الحد لم تكن معروفة منذ اثنتي عشرة سنة



وادي الريان ومناجب ارتفاعات

A. B. Cutting
B. C. Dyke
D. D. Minor Works

فاذا اريد ان تكون لخزن ثلاثة آلاف مليون متر مكعب تفتح لها ترعة طولها ٣٠ كيلومتراً يجري بها الماء اليها من عند الشرعونة حتى اذا كان الفيضان غزيراً جداً امكن ان تأخذ من النيل الف متر مكعب كل ثانية من الزمان مدة خمسين يوماً فتخفص سطحه ثلاثين سنمتراً في تلك الايام

والترعة الاصلية تقطع الصحراء امام الميانا وتدخل وادي الريان عند طرفه الشرقي وبها بعد الماء من الوادي الى النيل وقت التحريق ولكنها تتصل بالنيل في رجوعها جنوبي بني سويف ٠ وطول الفرع الاول من هذه الترعة ١٦ كيلومتراً وطول الفرع الثاني ٢٠ كيلومتراً (يرى ذلك واضحاً في الرسم المقابل) ويكون عرض كل ترعة من الترعتين اربعين متراً وعمق الواحدة ١٠ امتار والثانية ٧ امتار ويكون لها قناطر موازنة على النيل وسحارات تحت الابرهيمية ويحري يوسف وقناطر موازنة عند الاتصال بوادي الريان

فاذا اريد ان يخزن في وادي الريان ثلاثة آلاف مليون متر مكعب من الماء فالاعمال اللازمة لذلك تقتضي مليونين وستمئة الف جنيه ويصير مقدار الماء المنصرف في كل ثانية من الزمان امطاراً مكعبة هكذا

الجارية في النيل والنابع فيه	المنصب من خزان اصوان	المنصب من وادي الريان	الجملة
٥٥٠	٠٠٠	٣٥٠	٩٠٠
٥٠٠	١٠٠	٤٥٠	١٠٥٠
٤٠٠	٤٥٠	٢٥٠	١١٠٠
٤٥٠	٥٥٠	١٠٠	١١٠٠

وهذا المقدار من الماء يكفي تماماً لكل فدان يزرع الآن او يمكن زرعهُ في المستقبل من الاراضي الصالحة للزراعة

ويحسن ان لا تحفر الترعنان في وقت واحد معاً بل يكتفى اولاً بالترعة الثانية التي يجري بها الماء من الوادي فيجري بها الماء الى الوادي مدة اربع سنوات ومتى امتلأ يعتمد على بحر يوسف لجر الماء الى الوادي من ١٥ اكتوبر الى آخر فبراير وحينئذ تعمق الترعة بين الصحراء وضفة النيل فتصير مخرجاً للماء المنصرف من الوادي الى النيل

واذا اريد خزن في مليون متر مكعب فالنفقات اللازمة لذلك مليوناً جنيه ويصير الماء الجاري كل ثانية من الزمان هكذا

المجموع	من وادي الريان	من خزان اصوان	الجاري في النيل والنابع فيه	
٩٠٠	٣٥٠	٥٠٠	٥٥٠	في ابريل
٩٥٠	٢٥٠	٢٠٠	٥٠٠	في مايو
٩٥٠	١٢٠	٤٣٠	٤٠٠	في يونيو
١٠٠٠	٥٠	٥٠٠	٤٥٠	من ١ الى ١٠ يوليو

والمشروع الكبير يتم في ثلاث سنوات ونصف ويمتلىء الوادي في ثلاث سنوات ونصف والمشروع الصغير يتم في ثلاث سنوات فقط ويمتلىء الوادي به في اربع سنوات وباستخدام هذا الوادي لمساعدة الخزان وقناطر اسيوط والقناطر الخيرية يتم الري الصيفي في كل مصر بعد سبع سنوات من ابتداء العمل

وليس في العالم الآن مشروع اتم من هذا المشروع او انفع منه فانه اذا أنفق نصف مليون جنيه على تعليية خزان اصوان و مليوناً جنيه على وادي الريان بلغ الرجب الناتج من ذلك ٤٥ مليون جنيه فهو اربح الاعمال مالياً وانفعها للجمهور كبير من الناس ويشبه العمل العظيم الذي عمله اممها منذ اربعة آلاف سنة وموقعه على مقربة من موقع بحيرة مورس التي انشاها ذلك الملك. والصحراء التي بينه وبين الاراضي الزراعية يمكن ان تصير اراضي زراعية فيضاف عشرون الف فدان كل سنة الى الاراضي الزراعية يساوي الفدان منها خمسين جنيهاً. ويمكن ايضاً رفع الماء في وادي الريان الى علو ٣٠ او ٣١ متراً فوق سطح البحر واذا لم يتيسر ري كل الاطيان من ديروط الى القناطر الخيرية بترعين طوليتين يمكن انشاء قناطر أخرى عند الجسر الجنوبي من بني سويف فيصير ري الفيوم والجيزة امراً سهلاً وكذلك ري الصحراء الواقعة شمالي القاهرة ولا بد من ان اشير الى عمل آخر عظيم انشأه الملك اممها منشئ بحيرة مورس فان العالم لمسيوس اكتشف مقياساً للنيل صنع هذا الملك في سمينة عند الشلال الثاني من شلالات النيل. وحده الفيضان المرسوم عليه يعلو عن حده الحالي ثمانية امتار. والنيل عند سمينة تسهل اقامة السد فيه ولذلك خطرت لي ان اممها اقام سداً هناك ليجعل فوقه خزناً لحزن المياه في مسيل النيل نفسه ثم عجز خلفاؤه عن اتمام هذا العمل فعاد النيل الى مجراه القديم

اما الاربعة الاف مليون متر التي قلت ان خزان اصوان ووادي الريان يخزنانها الى حين الحاجة فتفي بالحاجة تماماً مهما كانت حالة النيل فتزيد بها مساحة الاطيان التي تروى رياً صيفياً مليوناً ونصف مليون من الفدادين ويبقى منها ما يغزر به ماء الري المستعمل الآن للري الصيفي فلا يستعمل بالشم

ثم اذا اردنا ان تبقى الترع مملوءة بالماء على مدار السنة وجب علينا ان نتحكم بالماء في البحيرات الاستوائية حيث مصادر النيل وفي المستنقعات التي يمر فيها هناك وحينئذ نروي به كل الاراضي الواقعة بين الدرجة ١٠ والدرجة ٢٤ من العرض الشمالي ونوصله الى مصر غزيراً كافياً لريها . لهذا الغرض ذهب السروليم جارستن الى اعالي السودان مرتين . اما ري القطر المصري وحده فالخزانان يكفيان له . واذا اعندى احد على النيل في زمن التحريق وسد مجراه شهراً او شهراً ونصفاً فالخزانان يغنيان عنه الى ان تفرج الازمة ويزال السد ويكون نفعمهما حينئذ فوق كل تقدير اما الخزانات التي يمكن ان تنشأ في اعالي السودان فلا تغني قليلاً بل قد يكون منها ضرر لهذا القطر

انضمم مما تقدم ان توسيع نطاق الري الصيفي حتى يعم القطر المصري ليس مما يتعذر عمله لان حيث المال ولا من حيث المصاعب الطبيعية فلا يقتضي من النفقات اكثر من مليونين ونصف من الجنيهات وليس هذا المبلغ بالشئ الكثير على حكومة افرضت حكومة السودان بالامس مليوني جنيه لانشاء سكة حديدية بين سواكن وبربر . وتحقيق الري الصيفي للقطر المصري كله انفع له من سكة سواكن مئة مرة ولا احد يعلم ذلك اكثر من اللورد كرومر كما انه ليس لي القطر المصري صديق اصدق منه

والعمل الذي اشير به يمكن الشروع فيه حالاً واعلاء الخزان يعترضه هيكل انس الوجود واذا لم يعمل فلا سبيل للعمل الاخر وهو خزن الماء في وادي الريان والذين اعترضوا على اعلاء الخزان يظنون ان ما يحل بالحجارة من التلف اذا كانت في ارض رطبة يحل بها ايضاً اذا غمرتها المياه بضعة اشهر من السنة وهذا خطأ لان الماء اذا غمر الحجر حفظه من البلى ولا يبلى منه الا ما يبقى مكشوقاً فوق حد الماء فغمر الهيكل واسطة لحفظه ولقد احسن المستر ونستن تشرشل في وصفه غيظ اهالي هذا القطر من اعتراض علماء الآثار على اعلاء الخزان فقال " ان تصحبة ١٥٠٠ مليون متر مكعب من الماء لها اثر التي كانت تُعبد في ذلك الهيكل هو اثن الضحايا التي قُربت على مذبح ديانة كاذبة واشدها ظمناً واكثرها جوراً فانه يقضي على الحكومة المصرية بالخسران وعلى الامة بالتضوّر جوعاً وذلك كله لكي يتهل علماء الآثار ويكتب السياح اسماءهم على حجارة الهيكل "

ويسهل على ادارة الآثار ان تنقل هيكل انس الوجود الى جزيرة البيجة على ما اشار به السروليم جارستن ولا تكون نفقات نقله مئتي الف جنيه . وجزيرة البيجة على رمية سهم من جزيرة انس الوجود وارفعت منها واصلح لقيام الهيكل

والهيكل كما هو عليه الآن في حالة يرثى لها وكما رأيتُه اتصَّور هاثور واقفة هناك رجلاً في الماء وثيابها ملطخة بالاولحال ثمَّوسَل لتنتقل الى جزيرة البيجة . والمئتا الف جنيه التي وعد بها السروليم جارستن يكفي نصفها لنقل الهيكل الى جزيرة البيجة والنصف الآخر لترميم هياكل طيبة ولقصر وكرنك وايدوس

رأينا في ما تقدم كيف انه يمكن ان يعم الري الصيفي القطر كله فيزيد ثمن اطيانه من ٢٧٥ مليون جنيه الى ٣٣٥ مليون جنيه والآن نلنفت الى امر آخر هام مثل الامر الاول وهو الاحتفاظ بهذه الثروة بعد الحصول عليها . فان النيل يعالو فوق واديه حين فيضانه متراً في الوجه القبلي ومترين في المديرية الوسطى وثلاثة امتار ونصف متر في بعض الاماكن على فرع رشيد وذلك في الفيضان الزائد . وفرع دمياط لا يصلح لجرى ان النيل في الفيضان الزائد فيجدد بالحكومة ان تحسب فرع رشيد النيل كله وتجعل فرع دمياط ترعة من الترع

حينما اتينا القطر المصري وجدنا الطريقة المتبعة للتصريف بماء الفيضان توزيعه في فرعي النيل وترعه واقامة الالوف من انفار العونة على الجسور لحفظها فغيرنا ذلك وحصرنا ماء الفيضان في فرع رشيد وفرع دمياط واقمنا الحرس عليهما . والآن تمكنا باعمال السرهري برون من التحكم بالماء في فرع دمياط فلم يبق علينا الا حراسة فرع رشيد

وقد حدثت قطوع كبيرة في فرع دمياط سنة ١٨٦١ و١٨٦٣ و١٨٦٦ و١٨٦٩ و١٨٧٤ و١٨٧٨ ولم يحدث قطع كبير في فرع رشيد الا سنة ١٨٦٣ لكن كان ضرره بالغاً جداً فانه غرق النصف الغربي من الوجه البحري ولم يترك للناس ملجأً يلجأون اليه فمات كثير من منهم غرقاً . ويحدث مثل ذلك الآن اذا حدث قطع كبير في فرع رشيد ويكون الضرر اشد لان البلاد اكثر سكاناً وقد عمرت اطرافها الى حد البرلس فاذا حدث قطع كبير في الجسر الشرقي من فرع رشيد او الجسر الغربي من فرع دمياط تحت القناطر الخيرية الى بعد مئة كيلومتر كان منه خراب عام

واذا جاء الفيضان عالياً جداً الى الرعب في البلاد كلها فترى الخيام منصوبة على جسور النيل كل خمسين متراً وفي كل خيمة منها غفيران والسرير موقدة الليل كله وعلى كل نقطة ضعيفة خمسون نفرًا الى مئة والقوارب والبواخر تسير في النيل مملوءة بالاكياس والبش والحجارة . والبش يوضع على جانبي الجسر لمنع فعل الامواج به . رأيت سنة ١٨٨٧ حادثة عند برنج شمالي المنصورة كانت تحدث حينئذ اكثر مما تحدث الان . حدث قطع هناك وبلغ خبره اهالي القرية المجاورة فهرعوا الى الجسر باولادهم ومواسيهم وكل مقتنياتهم واجتمع النساء حول

قبرولي هناك يضربن صدورهن ويتوسلن اليه ويزعنن زعيقاً يصم الآذان والرجال يركضون ويحفظون كل ما تقع يدهم عليه ليسدوا به القطع ووقف جمهور منهم في الماء كتفاً لكتف وجعلوا يلقون فيه كل ما يتناولونه من الابواب والاشباب والخطب الى ان سدوا القطع . هكذا كان الناس يسدون قطوع النيل من اول عهدهم . شكرت احد الموظفين مرة على المهمة التي ابداءها في سد قطع حدث سنة ١٨٨٧ فقال لي انه كان فتي سنة ١٨٧٨ وحدث حينئذ قطع في مت بدر فارس اسمعيل باشا تلغرافاً يأمر بطرحه هو والمهندس في القطع لكن المأمور ابقاه اثني عشرة ساعة فايض شعره خوفاً ثم عفي عنه

فاذا استخدم وادي الريان خزاناً انخفض به ماء الفيضان ٣٠ سنتيمتراً مدة خمسين يوماً فتضع وطأة الفيضان العالي جداً عن البلاد كلها من بني سويف الى بحر الروم . ولا بد من وضع الموازنة على فرع دمياط وجعله مثل بقية الترع وحصر المراقبة والعناية في فرع رشيد (وهنا لمهب الخطيب في كيفية العناية بالنيل حتى تحفظ جسوره ويتنفع بالرمال التي على جوانبه حسب طريقة المهندس ايدس الاميركي)

جبار الاخطبوط

كتبنا منذ بضع سنوات فصلاً في النوتيس والاخطبوط ذكرنا فيه ان الديكابود (ذا العشرة الاذرع) قد يبلغ وزنه عشرة قناطير مصرية وطول كل من ذراعيه الطوليتين ٢٤ قدماً وان هذا الحيوان كشف سنة ١٨٧٤ على شاطئ الارض الجديدة . وقد اطلعنا الآن على مقالة للدكتور هارفي مكتشف هذا الحيوان نشرها في جريدة الويد ورلد وصف فيها كيفية اكتشافه وصفاً بديعاً . فقد روى القدماء والقصاصون روايات غريبة عن هذا الحيوان حتى زعم بعضهم انه يقبض على السفينة ويجذبها الى قاع البحر فظن العلماء ان كل ما رواه عنه الراون من قبيل الخرافات الموضوعة وان الحقيقة دون ذلك بمراحل فكبرها الوهم وجسمها التخيل واخرجها من حيز الاوهام الى ان اتبع للدكتور هارفي هذا كشف القناع عن محيا الحقيقة واظهارها للعيان وقد تم هذا الاكتشاف منذ ثلاثين سنة ولم يمض عليه وقت قصير حتى دوت له اندية العلماء وتداولته الالسنه ولم تبق جريدة حتى نشرت تفصيل ذلك الاكتشاف . الا ان انباء هذا العصر لم يطلعوا على تفصيل ذلك وهذا ما حدا بالدكتور هارفي الى نشر التفصيل التالي لما فيه من الفكاهة والفائدة قال ما خلاصته :

”في الشاطئ الشرقي من جزيرة نيوفونلند (الارض الجديدة) خليج جميل بكثرت فيه السمك فيتخذ السكان صيده مهنة لهم. وفي القسم الجنوبي من هذا الخليج جون صغير يسمى جون البرتغال باسم وطن مكتشفه

وفي السادس والعشرين من شهر اكتوبر سنة ١٨٧٣ كان صيادان في زورقهما يصيدان الاسماك في جون البرتغال ولاحدهما ابن له من العمر اربع عشرة سنة وهو يد يدرفه السفينة وبينما كان كل من الثلاثة منهمكاً في عمله رأوا عن بعد جسماً كبيراً عائماً في الماء فظنوه قطعة من سفينة منكسرة وجذفوا نحوه وضربوه احدى بجذافه وللحال تحرك ونهض فوق الماء واراهم منظراً مريعاً نقشع له الابدان وحشاً بحرياً ضارياً بعينين كبيرتين ثنائيتان غضبان ومنقار عظيم اعقف كمنقار البغاء ثم انقض على الزورق وضربه بمنقاره وفي اقل من طرفة عين نسبت منه ذراع طويلة دقيقة كالجل والتفت حول الزورق ثم تبعته ذراع اخرى انصر منها ولكنها اغلظ والتصقت الذراعان حول الزورق فجعل الماء يدخله واشرف على الفرق فدخل الصيادان وايقنا بدنو الاجل الا ان الفتى لم يفقد رشده بل بادر الى فأس صغيرة كانت في قاع الزورق فرفعها وضرب بها ذراعي الحيوان فقطعهما . ولم يعد الحيوان الكرهة على الزورق بل تركه وافرز مقداراً كبيراً نحو ثمانى اقات من سائل كالخبر رائحته تشبه رائحة المسك صبغ الماء المجاور له ثم غاص في البحر ولم يعد يرى ثانية . وعاد الصيادان بزورقهما الى الشاطئ وهما يرتجفان خوفاً واما الفتى واسمه توما ييكوت فنزع الذراعين عن القارب وعاد بهما الى الشاطئ كما يعود البطل الظافر بغنيمته ولم يخطر على باله انه اتى امرأ خطيراً فرى الذراع القصيرة الغليظة الى الكلاب فتناوشتها الى ان التهمتها واما الذراع الطويلة فانه اخذها الى بيته حاسباً انها اذا جفت صارت جبلاً يربط به قاربه . وسمع قسيس القرية بتفصيل الحادثة فاشار على توما ان يبادر اليه ويريني تلك الذراع فاتاني في الصباح التالي وحكى لي القصة فاشتريت الذراع منه بمبلغ من المال فعاد يطفر فرحاً . واما انا فلم اكن دونهُ فرحاً وجوراً فقد علمت انني وجدت اغرب غرائب مملكة الحيوان وان بين يدي مفتاح سر غامض تناظر العلماء طويلاً في حقيقة وجوده منذ قرون . وتيقنت انه سيضاف بواسطة اكتشافي فصل جديد الى التاريخ الطبيعي الا ان فرحي كان يمازجه الكدر الشديد لفقد الذراع الغليظة . ولكنني كنت اعلل نفسي بانه يمكن تصوير الحيوان كله من معرفة ذراع الواحد فقط كما فعل كيشيه وغيره فانهم صوروا بعض الحيوانات من رؤية عظم واحد من عظامها . على ان الخط اعد لي ما لم اكن انتظره ولا احلم به كما سيجي

وبعد ان دفقت البيث في هذه الذراع استنتجت ان طول هذا الحيوان بين خمس عشرة وعشرين قدماً وان طول كل من الذراعين الطوال خمس وثلاثون قدماً او اربعون وعرض رأسه اربع اقدام وان ثقله لا ينقص عن الف او الف ومئتي رطل وكان محيط الذراع لا يزيد على ثلاث بوصات ونصف الا انها كانت متينة جداً ولونها احمر ضارب الى الصفرة . وتوسع عند طرفها فتصير شبه مجذاف ويصير محيطها ست بوصات وهذا القسم المتسع مسلح بمصات قطر اكبرها بوصة ورابع وحولها اسنان دقيقة حادة . فاذا التصق المصص بحيوان غرزت هذه الاسنان في لحمه واصبح افلاته مستحيلاً . وهذه المصات في صنفين في كل منهما اثنا عشر مصصاً . وهنالك ايضاً عدد كبير من المصات الصغيرة وكلها تحيط بها الاسنان الصغيرة والديكا بود ذراعان طويلتان وثماني اذرع اخرى قصيرة وهي اغلظ من الذراعين الطويلتين . وكلها اطوع لهذا الحيوان من اليد للانسان والمخلب للاسد فتشرب بسرعة البرق حتى لا يمكن لعين ان تتبعها في حركتها وتنقض على الفريسة فتجذبها الى فم الحيوان فيفترسها

ولم يعد يظهر اثر لهذا الحيوان الغريب والراجح انه نزل الى اعماق البحر ليموت منفوداً كما تفعل الاسماك اذا اصيبت بجراح والا فقد هاجمته رفاقه لما احسّت بعجزه وافترسه لان السمك يأكل بعضه بعضاً من غير حساب

ولم يرض على هذه الحادثة ثلاثة اسابيع حتى ذاع ان الصيادين امسكوا اخطبوطاً كبيراً في خليج لوجي على ثلاثة اميال من مدينة سنت جون في الارض الجديدة . فاسرعت الى ذلك المكان فرايت الصادين حول الحيوان وهم يريدون ثقطيعه واستعماله سداً للارض . وكان سليماً من كل عطب الا ان الصيادين اضطروا ان يقطعوا رأسه فاتفقوا عينيهِ . وكنت قد درست كل ما يتعلق بهذا الجنس من الحيوان فتحققت ان ليس في متحف من متاحف العالم حيوان كامل مثله بل كان العلماء يرتابون في وجود ما هو كبير مثله وللحال اشتريته بعشرة ريات وقلتني الى منزلي ووضعته في وعاء كبيرة مملوء بالماء والملح

وكان هذا الحيوان اصغر من الاول وقد ظننت انه انثى الحيوان الاول نفسه حل بها اليأس حين فقدت الفها فالقت بنفسها الى التهاكة . وذلك ان الصيادين كانوا في زورق يصيدون السمك بالشباك وبينهم كذلك احسوا بثقل غير اعنيادي في شبكتهم فابرت اسرهم وظنوا انهم اصابوا شيئاً كثيراً من السمك ولكن لما قربت الشبكة منهم احسوا باخبط شديد فيها كاد يمزقها ويذهب بها فجذبوا قواهم وتعاضدوا على سحبها فلما بدا لهم ما فيها هالهم منظرها اذ راوا عينيْن كبيرتين تثقدان غضباً حولها اذرع كبيرة تنهدى داخل الشبكة وتخطيط لتتخلص

منها . ثم نشبت ذراعان من هذه الاذرع وخرجت من الشبكة واعتزت في الهواء الا انها لم
تصلا الى الزورق بل عادت الى مكانهما . وقد هال الصيادين هذا المنظر واردوا ان يتركوا
الشبكة وما فيها الا انهم صمموا اخيراً على قتل هذا الحيوان ليأمنوا شره وتناول احدهم ميكاً
حاداً فقطع بها رأسه من تحت العينين واصاب العينين ففقاها وترك حجاجيهما فارغين والحال
انقطعت حركة الحيوان فسهل على الصيادين اخراجه الى البر
وقد كانت هذه الحادثة من حسنات الطبيعة وغرائب الاقدار . فان الطريقة التي بها
قُبض على ذاك الاخطبوط هي الطريقة الوحيدة التي يمكن بها القبض عليه من غير ان يلحق به
ضرر وبالقابض عليه اذى

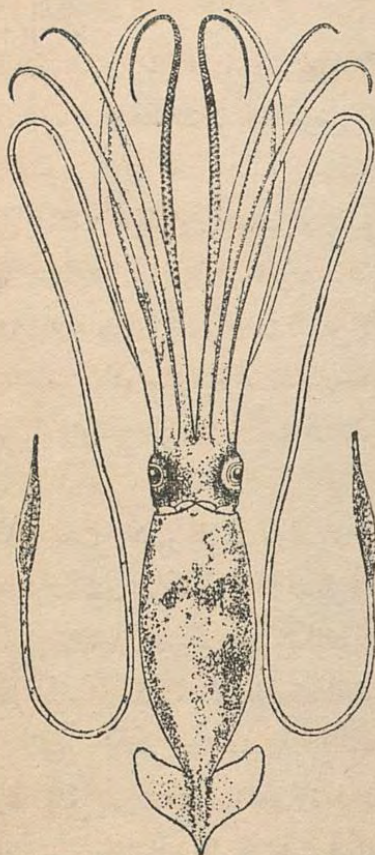
وقد قسته فوجدت طول جسمه ثمانى اقدام ومعظم محيطه خمس اقدام ونصف قدم . وتشعب
منه عشر اذرع اثنتان منها طويلتان طول كل منهما اربع وعشرون قدماً ومحيطها ثلاث
بوصات . وهذه تشبه الذراع التي آتى اليها من جون البرتغال وفيها على الطرف المتسع نحو
١٦٠ ممصاً ويبلغ طول كل من الاذرع الباقية ست اقدام ومعظم قطرها ١٢ بوصة وعلى
سطحها الاسفل صفان من الممصات . ويبلغ عدد كل الممصات على الاذرع العشر نحو ١١٠
ممص . ومحيط حجاج العين المفقوءة ١٢ بوصة والمنقار صلب يشبه منقار الببغاء في الانعكاس
وحجمه كحجم الكف المقبوضة وحوله كيس لحجي في وسط الرأس . ويبلغ طول الحيوان من
طرف الذراع الواحدة الى طرف الذراع الاخرى ٥١ قدماً

وللأخطبوط انبوبة وراء رأسه واليها تُنسب حركاته السريعة في الماء . وكيفية ذلك ان
الانبوبة متصلة باعضاء التنفس يدخلها الماء من صمامين بواسطة تمدد جسم الحيوان . فاذا
اخذ الدم من الماء الاكسيجين اللازم له انضغط الجسم على الماء فاخرجه من الانبوبة بقوة شديدة
واندفع الحيوان بسرعة . هذه هي الطريقة التي بها يسير الاخطبوط عادة وذنبه مثل الشكل
يقوم مقام دفة يدور بها كيف شاء ويسير به الى الامام بسهولة تامة

وفيه كيس للحبر يفرغ الحبر منه الى هذه الانبوبة بقناة مخصوصة فاذا دام الاخطبوط
عدو افرز كمية من هذا الحبر الى الماء المجاور فيحيط نفسه بستار من الظلام الحالك يجعله في
مأمن من كل طارئ مفاجئ

وليس للأخطبوط سلسلة فقارية كما لسائر الحيوانات العليا بل له لوح صلب يشبه العظم
ويقوم مقام السلسلة . ويرتأي الدكتور هارفي ان الاخطبوط وحية البحر شي واحد ويشترك
في هذا الرأي جمهور من العلماء الثقات فاذا صح ذلك كان للدكتور هارفي الفضل في كشف

القناع عن هذين السرين الغامضين ووضعها على اساس علمي متين
ولما كانت غايته ان ينتفع العلم باكتشافه ارسل الحيوان الى الاستاذ فرل في مدرسة
بال الجامعة وكان هذا النوع من الحيوان درسه الخاص . فدرسه درساً مدققاً ونشر نتيجة
بجته فيه . وقد سمي الحيوان باسم مكتشفه " اركيتوش هارفايي " اي الاخطبوط العظيم



الاخطبوط الطويل الذراعين كما تمه الاستاذ فرل
الذي اكتشفه هارفي . وسماه غيره باسم " ميغاتولوش هارفايي " تذكراً للخدمة التي بها
خدم هارفي العلم
والاخطبوط الكامل محفوظ الآن في الكحول في وعاء كبير بمدرسة يال الجامعة .
والذراع الاولى التي قطعها توما بيكوت محفوظة في متحف مدرسة سنت جون في جزيرة
الارض الجديدة

اسماعيل باشا سري والري الصيفي

لما فُتح البرلمان الانكليزي بالامس وخطب فيه ملك الانكليز ذاكراً اهم المسائل الخطيرة اطال الكلام على زرع القطن وأمل ان المساعي المبذولة لاتتسع مساحة الاراضي التي يزرع القطن فيها تكفل بالنجاح

وما يهتم به الآن ملك عظيم الشأن مثل ملك الانكليز اهتم به محمد علي باشا منذ اعوام كثيرة ولا يزال اعظم ما يهتم به اهالي هذا القطر وهو الغرض المقصود من توسيع نطاق الري الصيفي ومن "المشروعات المستجدة" التي عملها اسماعيل باشا سري في المديرية الوسطى من هذا القطر ولا يزال آخذاً في عملها فيها . وقد اطلعنا الآن على رسالة لاديب رأى هذه الاعمال ووقف على تفاصيلها فنقلنا عنها الفصل التالي قال :

في اول مارس سنة ١٨٩٩ وهو تاريخ يجب ان ينقش على افئدة جميع اهالي مصر الوسطى صدرت الاوامر الى سعادة اسماعيل باشا سري بتركه اشغال تفتيش ري القسم الثاني والقيام الى المنيا لتحضير مشروع لتجويل الاراضي التي كانت تروى في ايام الفيضان فقط الى نظام ري صيفي اي الى نظام ري مستديم

فطن بعض من لا يدركون دوائر الامور ولا يفسرون الحوادث الأبطاوها ان سعادته ترك منصب مصر وسكنهاها ونقل الى الصعيد ابعاداً له لاختلاء الجو لغيره . وبقي هذا الظن متسلطاً على افكارهم الى ان اخذت اعمال المشروعات تبرز من حيز الفكر الى حيز الوجود وعند ذلك حدث شبه رد فعل في الافكار وعلم الجميع ان كبار موظفي الري قد اعطوا القوس باربها وان المشروع الجيد الذي انتدب صاحب الترجمة لاجله اعظم مشروع من نوعه عمل في القطر السعيد من يوم جرى فيه نهر النيل المبارك . ولكي يدرك القارىء خطورة هذا المشروع الجليل وماهية الاعمال التي تعمل ومقدار الفوائد التي تعود على البلاد والعباد ابحت في الموضوع بحثاً تفصيلياً فانقول علم الخاص والعام ان الخزان العظيم الذي عمل في اصوان كان الغرض من تشييده اولاً خزن المياه في اواخر الفيضان وحفظها ذخيرة ثمينة تهادى بها اراضي القطر في مدة الصيف ايام تكون مياه النيل شحيحة والزراعة الصيفية في اشد الحاجة اليها . والغرض الثاني منه اعطاء المياه الصيفية اللازمة لمساحات كبيرة من الاراضي التي كانت تروى ري حياض فقط . وري الحياض هذا هو ان المياه تعم الاراضي في مدة النيل وتبقى فوقها مدة نحو ٤٠ يوماً ثم تصرف عنها ويزرعها الاهالي الزراعة الشتوية وتبقى الارض بعد حصدها خاوية خالية كأنها لابة



اسمعیل باشا سري

اثواب الحداد على عزها الماضي وحرمانها من ثوبها الاخضر القشيب . والاراضي التي كان في عزم نظارة الاشغال تغيير نظام ريهها عند انتداب صاحب المشروع تبلغ مساحتها نحو ٣١٢٠٠٠ فدان وهي واقعة في اقاليم مصر الوسطى بين قناطر تقسيم ديروط جنوباً وصليبة حوض قشيشة شمالاً وبين مجرى البحر اليوسفي المشهور غرباً وجسر المحيط الغربي شرقاً . وسلسلة الجبال هذه تمتد في ثلاث مديريات وهي مديريات اسيوط والمنيا وبني سويف

فلما ان المياه اللازمة لري هذه الاراضي صيفاً تيسرت بعمل خزان اصوان لخزن المياه ولكن وجود المياه ليس كاف وحده لضمانة الري وتوصيل الماء الى الاراضي ولذلك بنيت قناطر حجز على النيل في اسيوط كمساعد لخزان اصوان يرفع منسوب مياه النهر لكي يدخل المقدار الكافي منها في الترع الابراهيمية التي تنقل المياه الى المنطقة الصيفية القديمة والمنطقة الصيفية الجديدة التي هي موضوع كلامنا . بقي اذاً بعد ان تيسرت المياه الكافية وصار في الامكان توصيلها الى الاراضي شتاءً وصيفاً عمل الاعمال اللازمة لتوزيعها على تلك الاراضي بتمام الترتيب والنظام وهذه هي اعمال المشروعات العظيمة

تقدم القول ان صاحب المشروعات حضر الى المنيا في اوائل سنة ١٨٩٩ او بعد حضوره رأى ان من مصلحة اعماله الجديدة مشاهدة بعض اعمال الري المهمة في اوربا لا سيما ما عمل منها في شمالي ايطاليا لما اشتهر عنها من ترقى الري فيها وانتظامه فطلب من نظارة الاشغال ان تأذن له ليذهب بصفة رسمية الى تلك البلاد فاذنت له في ذلك عن طيبة خاطر وسافر اليها في صيف سنة ١٨٩٩ او بعد ان قضى مدة شهر يطوف في تلك الاقاليم ويشاهد اعمال الري فيها عاد الى مصر واتخذها بؤلاًف عن رحلته ككتبه باللغة الانكليزية وسماه « الري في وادي نهر البو » جاء فيه على كل ما جلّ نفعه وعظمت فائدته ووصف حالة الري في شمالي ايطاليا وصفاً وافياً فحق له ان يقول عن ذلك التقرير كما قال الفيروزبادي عن قاموسه « خذوا ايها الايطاليون وصف ريبكم من رجل مصري »

وبعد عودته الى المنيا قضى بقية عام ١٨٩٩ والعام الذي يليه مكباً على درس المشروع وتحضيره فعمل تصميمات الترع والفروع اللازمة لضمانة ري جميع الاراضي رياً وافياً وقد اعطى للمصارف وفروعها حقها من الالتفات فلم يخطط ترعة لزيادة الحياة في الارض الا وخطط بمجانها مصرفاً لحفظ تلك الحياة وضمانتها ووضع ايضاً تصميمات قناطر الموازنة لحفظ المياه على منسوبات معلومة ووضع رسومات افهام الترع وقناطر الصرف لاعطاء المياه وصرفها عن الاراضي بمقادير قانونية وقرر مواقع قناطر المرور تسهيلاً لحركة الاهالي فجاء المشروع كافياً وافياً وارسله الى

نظارة الاشغال العمومية فصادقت عليه كما هو بدون تغيير ولا تبديل وشرع في تنفيذه في
اوائل سنة ١٩٠١ وبوشر العمل في القسم الشمالي من مديرية اسيوط وهو القسم الواقع شمالي
قناطر حجاز ديروط ومساحته نحو ٥٨٠٠٠ فدان

فوزعت الاعمال من انشاء ترع وحفر مصارف واقامة قناطر وتشيد ابنية على الماويلين
واستمر العمل مدة سبعة اشهر واهالي تلك المنطقة يظنون ان زمان الاستبداد قد عاد وان
الحكومة تقطع اراضيهم قصد اتلافها وبقيت اهالي مصر لا يدرون ماهية ذلك العمل العظيم
ولا يدرون اي روح جديدة تبث في جسم بلادهم الى ان جاء اليوم العاشر من شهر اغسطس
سنة ١٩٠١ وهو اليوم الذي تقرر رسمياً لفتح اغنام الترع التي انشئت في تلك المنطقة ودخول
المياه اليها بانتظام لاول مرة في حياتها فاطلقت المياه في الترع في صباح ذلك اليوم في حفاة
حافلة حضرها اكابر القوم واعيان مديريات اسيوط والمنيا وبني سويف وعدد كبير من الاهالي
وكان من الحضور مديرو جرجا واسيوط والمنيا وبني سويف والفيوم وباشمهندسو المديريات
التي ذكرناها فانشدت قصائد المديح وتليت خطب التناء على المشروع وصاحبه ولكن الى لفران
الشعراء ان بقي ذلك المشروع وصاحبه حقهما من المدح والتناء واني لالسنه الخطباء ان تفيض
بوصف تلك الاعمال العظيمة ونتائجها العجيبة وكل من جال في انحاء تلك الحياض في الاعوام
الماضية ورأى كيف ان مياه الفيضان كانت تغرقها مدة ثلاثة اشهر من السنة وحرارة الشمس
تحرقها مدة اربعة اشهر اخرى ثم جاء وشاهدها الان ورأى الزراعة فيها تثلو الزراعة والمحصول
يجي بعد المحصول والاراضي تنبت زبرجداً والزبرجد يزهر فضة ويثمر ذهباً ونبض على
السكان بالخيرات التي لم يكونوا ليجلموا بها بل لو اعارنا المنطاد جناحه والهواء براحه فارتنعا
بعض مئات من الاقدام فوق سطح تلك المنطقة وشاهدنا الترع كالشرايين تخرج من قلب
قناطر ديروط وتنقل ماء الحياة الى كل جزء من اجزاء تلك المنطقة ورأينا المصارف كالاوردة
تجري فيها المياه التي تصفت عن تلك الاراضي لادركنا ماهية العمل العظيم الذي قام به هذا
العالم المضال وعلمنا حق العلم انه لا يزال في السويداء رجال

وفي اوائل سنة ١٩٠٢ باشر العمل في المنطقة الواقعة في مديرية المنيا ومساحتها نحو
١١٣٠٠٠ فدان فقسمها الى قسمين وباشر العمل في القسم الجنوبي منها ومساحته نحو ٥٥٠٠٠
فدان فانشاء ترعه ومصارفه واقام ابنيته على ما وصفناه في المنطقة السالفة الذكر وما جاء العاشر
من اغسطس سنة ١٩٠٢ الا وكانت هذه المنطقة ايضاً مستعدة تمام الاستعداد للري الصفي
فتدفقت في ترعها المياه وجري في عروقها دم الحياة وأخذ الاهالي في الحرث والزرع وكلهم

السنة شكر ودعاء ومدح وثناء على المشروع وصاحبه

وفي اوائل سنة ١٩٠٣ انتقل الى القسم الشمالي من منطقة المنيا وداهمه بجبله ورجله وهاجمه من كل ناحية وصوب ودامت المعركة مدة سبعة اشهر فانجحت عن انتصاره انتصاراً باهراً كما هو المنتظر وفتح الى مساحة الاراضي الصيفية نحو ٥٨٠٠٠ فدان من اراضي الحياض ونشر فيها اعلام العصر الحديث فوق اطلال العهد القديم وبرهن للبلاد ما توصل اليه الري في مصر من التقدم والترقي

وقد سهل للفلاح كل السبل وعلمه كيف يوزع المياه فوضع تحت جسور الترغ وفروعها افلاماً من المواسير لمساق فرعية تروي كل منها نحو خمسين فداناً رياً تاماً فلم يبق على الفلاح بعد ذلك الا ان يفتح فم مسقاه حتى تندفق الى ارضه المياه ومتى تم ريها على ما يشتهي يعود فيقفلها بسهولة ثم انه وجد ان المواصلات بين البلاد قد تعسرت بسبب تقطع الاراضي بالترغ والمصارف فوضع مشروعاً مفصلاً لعمل سكك زراعية تصل بين البلاد المهمة وتوصلها الى اقرب محطة من محطات السكة الحديدية ومنها الى شاطئ النيل وذلك لكي يسهل للاهالي الانتقال من مكان الى مكان ولا يتعذر عليهم ان ينقلوا اثقالهم من محصولات وغيرها باسهل الطرق وافهموا سواء كان على ظهر البخار او في عباب البحار

فيجمع مما تقدم ان صاحب المشروع قد اتم تحويل نحو ١٧٠٠٠٠ فدان للري الصوفي في السنوات الثلاث السالفة الذكر وبقي عليه بحسب التصميم الاصيل الذي ذكرناه في اول هذه المجلة نحو ١٤٠٠٠٠ فدان اخرى الا ان نظارة الاشغال العمومية وجدت ان المياه التي يخزنها الخزان تزيد كثيراً عما يطلبه المشروع الاصيل فارتأت ان تحول بقية حياض مديرية بني سويف وحياض مديرية الجيزة ايضاً الى الري الصوفي المستديم وتبلغ مساحة هذه الاطيان نحو ١٧٣٠٠٠ فدان . فطلبت من صاحب الترجمة ان يدرس هذا المشروع الجديد ويضع له الرسوم والتقدير اللازمة كالمعتاد ففعل وارسل نتيجة مباحثه الى النظارة في سنة ١٩٠٣ ولا تزال الى الآن في معرض البحث والمراجعة وعليه فيكون ما لا يزال مصمماً على تنفيذه من هذا المشروع العظيم نحو ٣١٣٠٠٠ فدان اي نحو نصف ما تم تنفيذه الى الآن وبقتضي لانعام ما بقي خمسة او ستة اعوام من اول سنة ١٩٠٤

ومما اطال الكاتب في وصف هذا المشروع واطنب في تبيان فوائده فانه يعجز عن ان يرسم في ذهن القارئ صورة واضحة لفخامته ولا تتضح هذه الصورة الا بالبراهين القاطعة وعليه فساذكر بجمال ما جمعت عن الاعمال التي عملت لاجراجه ما تم من المشروع من حيز الفكر الى عالم

الوجود وبيان الفوائد التي عادت منه على القطر عموماً وعلى اصحاب الاطيان خصوصاً فاقول :-
يجب القارئ اذا علم ان مقدار ما حُفر من التراب في انشاء الترع والمصارف وفروعها وفي
توسيع بعض الترع وتعديل البعض الآخر في السنوات الثلاث الماضية من اول سنة ١٩٠١
الى اخر سنة ١٩٠٣ بلغ خمسة وعشرين مليوناً من الامتار المكعبة وهذا المقدار من التراب
قد رفع على اكتاف نحو ١٠٠٠٠٠ من العمال احضرهم المقاولون من اهالي الصعيد بالوسط
والتهديد كما كانت تفعل الفراعنة من قديم الزمان وحكام مصر المحدثون قبل عهد اصلاح
بل بالدرهم والدينار الذي كانت الحكومة تنفقه من خزائنها عن طيبة خاطر
وبلغ عدد الالبنية التي اقيمت نحو ٨٥٠ بناءً من قناطر موازنة واقام ترع ومصبات
مصارف وقناطر للمرور وسحارات وهدارات ومنازل للتفتيش
وبلغ طول الترع التي عملت ١٠٤٠ كيلومتراً وطول المصارف ٨٥٥ كيلومتراً فيكون
مجموع هذه المجاري نحو ١١٠٤٠ كيلومتر اي نحو ضعف المسافة بين الاسكندرية واصوان
وبلغت نفقات هذه الاعمال جميعها نحو ٨٢٠٠٠٠٠ جنيه مصري صرفت جميعها من خزائن
الحكومة وستردها اليها على اقساط من علاوة الضرائب التي ستضرب على الاراضي التي تم اصلاحها
واذا جعلنا الماضي قياساً للمستقبل وحفظنا النسبة بين ما تم من المشروع وبين ما سيبقى
في الاعوام القادمة وجدنا ان ما يلزم لاتمام المشروع بأكمله هو انشاء نحو ١٩٠٠ كيلومتر من الترع
ونحو ١٦٠٠ كيلومتر من المصارف وتبلغ مقادير التراب الذي يستخرج منها نحو ٥٠ مليون متر
مكعب وتقتضي بناء نحو ١٦٠٠ من انواع الالبنية التي فصلناها في ما تقدم ويبلغ المال الذي
سوف ينفق في سبيل اتمام كل هذه الاعمال نحو ١٦٠٠٠٠٠٠ جنيه او قل من مليوني جنيه
ولبيان الفوائد التي نجمت عن ذلك المشروع لابد للقارئ ان يعلم ان فقدان من الاطيان
التي تحولت الى نظام الري المستديم كان لا يساوي قبل تغيير نظام ريه اكثر من ٣٠ جنيهاً
وكان محصوله لا يزيد على جنيهين او جنيهين ونصف سنوياً اما الان فقد اصبح لا يباع باقل
من سبعين جنيهاً ومحصوله لا يقل عن عشرة جنيهات في السنة واذا اخذنا من الماضي اعلى
الاثمان واكبر المحصولات ومن الحاضر اقلها واعتبرنا الثمن الماضي ٣٠ جنيهاً والثمن الحالي ٦٠
ومقدار المحصول في الماضي ٣ جنيهات والحالي ثمانية فقط وجدنا ان ما تم تحويله الى الري
الصفي يزيد في ثروة البلاد نحو خمسة ملايين من الجنيهات وفي ايراد اصحاب تلك الاراضي
السنوي نحو ٨٠٠٠٠٠٠ جنيه سنوياً. واذا جعلنا الماضي قياساً هنا كما جعلناه في تقدير عظمة
المشروع نجد ان هذا المشروع الكبير سيزيد في ثروة القطر المصري بعد تمامه نحو خمسة عشر

مليوناً من الجنيهات على الأقل ويزيد في ايراد الاهالي نحو مليوني جنيه سنوياً . فهذه فوائد المشروع الجليل الذي قام به سعادة الهمام اسمعيل سري باشا في اراضي مصر الوسطى وتلك هي عظمة العمل الذي ربما لم يسمع به كثيرون من سكان وادي النيل

خطر علينا وعلى الدين

تمهيد

مضى زمن طويل لم أُرِد ان احرك فيه لساناً او أجري على القرطاس قلماً اعتقاداً مني بان البرهنة يضيها الناشئ في التحرير خير منها الف مرة برهنة يضيها في المطالعة والاستفادة . وليست الغوغاة التي يخلفها المرء حول اسمه طلباً للشهرة بنافعة الا الى حين ثم ينكشف ذلك الطلاء الكاذب فيظهر الجوهر ناقصاً معيباً لا محيص له من السقوط . ولقد كنت منذ عامين احببت ان اكتب الكلمة التي انا اليوم كاتبها نصيحة لامي واحتراماً لدينها ولكني اعترفتي الرهبة وخشيت ان استفز غضبها لدعوة كنت لا يزال يعتريني بعض الشك في صحتها ففضلت ان اطويها خاطراً في صدري وتركت للزمن ان ينضجها بعد ان تثقف وتصل في نار البحث والتدقيق فإما هي معدن فاسد يلقى في زوايا النسيان وإما هي جهر كريم يصح ان يهذى الى عرائس الازهان

والآن بعد مرور عامين طويلين قلبت فيهما تلك الدعوة على جميع وجوها وعرضتها على محل النقد والمناقشة لا اجدني اخطأت الا في عدم الجهر بها الى الان مع شدة احتياجنا الى معرفتها والعمل بها لا سيما في هذه الايام التي شاعت فيها كلمة الدين من اناس اتخذوها تجارة فلم يعد يهمهم الا ان ترددها افواههم صباح مساء وسيلة للتغريب واحثيالا لكسب رضى العامة وشبوح ذكرهم بينها غير ملتفتين الى الخطر العظيم الذي يدفعون اليه الامة ودينها كما اندفعت اليه اوربا من قبل فكانت النتيجة وبالا على المسيحية والمسيحيين

والذي اريدُه بعد ذلك من كل قاري ان يعين النظر كل الامعان في معنى ما اقولُه وانفسه فلا يحمل اقوالي على غير محملها ولا يندفع مع تيار الغضب ليرميني بما انا بريء منه في حين انه لو تجرد برهنة عن اوهامه التي ارتكزت في ذهنه ونظر في الامر بعين فكر سليم لا بد من الا بما يفهم لانجبت له الحقيقة ولعرف ان ما اكتبه اليوم اقل ما يمكن ان يقال في مثل هذا المقام

نحن والدين

قالوا ان الامة اذا كانت جاهلة متأخرة ثم قدّر لها ان تخطو الى الامام وتنهض راغبة في التقدم فلا بد لها من ادوار كثيرة طبيعية تتناوبها واحداً بعد الآخر . واول هذه الادوار ان يكثر فيها الناصحون والمرشدون فلا يزالون يقرعون الآذان ابقاظاً للنائم وتنبيهاً للغافل ولا تزال الامة تغضي عن أكثر ما يقولون ردحاً من الزمان حتى يتأثر مجموعها كما تتأثر الصخرة الصماء من قطرات الماء فتهم الى السعي واتباع القول بالعمل وحينئذ يصح أن يقال انها نشطت من عقالها وقامت تنفض الغبار عن اكتافها ودخلت في دور آخر هو دور الحياة والعمل فاذا صح قولهم هذا — وهو مما لا شك فيه — وصح ان الامة المصرية كانت ولا تزال متأخرة جاهلة — ولا اظن مصرياً ينكر ذلك — فانها الآن في الدور الاول من نهوضها ولذلك تجدها على كثرة الصائحين بينها والمنادين فيها تكاد لا تفقه كلمة من عشر كلمات بلغها عليها الناصحون والمرشدون . وخالق بنا ونحن لا نزال في اول الطريق ان نتساءل الى اين نساق واي سبيل نتبع وهل في ما نحن سائرون اليه نفع او ضرر حتى لازمى بقصور النظر ولا نكون كالثائنه في البيداء لا يعلم الى النجاة ام الى الهلاك يسير . ومما لا ريب فيه ان تتبع حركة الافكار في البلاد واستجلاء الاغراض التي يسعى اليها ارباب الاقلام هما وحدها خير ما يؤدي بنا الى الغاية المقصودة . فلننظر الى اي شيء ترمي حركة الافكار والى اي غرض يعمل ارباب الاقلام لنعلم الى اي طريق نحن مسوقون

دُرّ في البلاد طولها وعرضها واستجلى غوامض افكار ابنائها وسلّ كلّ من تريد منهم عن اسباب تأخرنا وانحطاطنا ثم عن الطريق الذي يؤدي الى نهوضنا وارتقاعنا وبالجملة عن دائنا ودوائنا تجدهم اطلال في الشرح وعدد من الاسباب لا يحوم الاّ حول سبب واحد تنتهي اليه جميع الاسباب . وهذا السبب هو الدين فتركه والجري على خلافه هما علة ما نحن فيه والعمل به هو الدواء الوحيد لشفائنا من كل ما اصابنا من الامراض

دع هؤلاء وراقب معلمي ابناء الامة ومرجي اطفالها واستطلع خلاصة ما يشون من النشأ والارشادات تجد ان الدين هو القدوة التي يغرسونها في الاذهان مثلاً لكل كمال ومبعاً لكل حياة واساساً لكل عمران

دع هؤلاء ايضاً وانظر الى أكثر المؤلفات التي تنشر كل يوم وحسبك ان تمرّ عليها مراراً لتعرف ان اصحابها وان اخلفت بينهم المنازع وتضاربت منهم الآراء متفقون تمام الاتفاق على انه لا رقي ولا نهوض الاّ بالدين . وقليل او اقل من القليل من هؤلاء المؤلفين من تمثله

على صحيفة لا تجده قد ضرب فيها على نعمة الدين
دع هؤلاء أيضاً وألقى بالآ إلى الشعراء طلاب الخيال وعشاق الكمال تجدهم بين صغير
وكبير بليغ وغير بليغ لا يهيمون إلا بصورة واحدة هي صورة الدين يمثلونها للافهام اله الحب
ومعنى الجمال وكأنهم لولاهما ذاقوا للكمال لذة ولا تاهوا في بيداء الخيال
دع هؤلاء أيضاً واتل ما ينشر في البلاد من جرائد ابنائها ومجلاتهم سياسية وعلمية ومجوية
تجدها على كثرتها وتنوع مذاهبها واختلاف اغراضها لا تهتم بشيء أكثر من المتادة بالدين
ولا تكاد تنفق إلا حيناً نثغى بكلمة الدين . وعجيب في امر هذه الصحف انها ما ظهرت في
البلاد دعوة اصلاح او ارشاد إلا وتشاكست فيها حتى تمر الايام فلا يبقى من آثار الحديث عن
تلك الدعوة إلا غبار ذلك التشاكس لكنهما متى هبت عليها ريح الدعوة الى الدين اجتمعت كلها
لساناً واحداً ويداً واحدة حتى كأنها أفرغت في قالب واحد أو كأنك اذ تطوي احداها لتنلو
الآخرى لا ترى إلا صحيفة واحدة تعددت لها الاسماء

هذا كله وكثير غيره لا يتسع المقام لافاضة الشرح فيه يدل على مبلغ تسلط الدين على
عقولنا واتخذنا افهامنا اتخذاً لا مثيل له لكل ما يأتي من جانب الدين بل يدل على استسلامنا
استسلاماً اعمى الى ماضينا الذي يجب ان نبتعد عنه كل الابتعاد ان كنا نريد ان لا نبقي
كأنحن وكما كنا جهلاء ضعفاء

ومن اغرب ما فينا اننا مع ما نحن فيه مما لا اسميه إلا هوساً دينياً لا تجد واحداً منا إلا
وهو شاك بالعدم اتباع الدين ونبذ قواعده فكنا شاك وكنا مشكوك وكنا داع وكنا
مدعو . وكافي بنا بعد كل ذلك الصياح وتلك الجلبة قد خرجنا من الدنيا ولا نحن استفدنا
ولا الدين استفاد . بل اغرب من هذا واعجب ان اولئك الذين تسمع لمناداتهم بالدين يبننا
كل يوم وكل برهة ضوضاء تصم الآذان وتزعزع الجبال هم اجهل الناس بالدين وابعدهم عن
اتباعه وما هم إلا متاجرين اتخذوا كلمة الدين مطية للتغريز والتضليل توصلاً الى اغراضهم
بعد ان علموا انها خير ما يرضي العامة فكان من ذلك انه ما جد في البلاد حادث ولو كان
نافهاً لا يلتفت اليه فرد عاقل فضلاً عن امة فضلاً عن دين يجمع امماً إلا وسبقته كلمة الدين
ثم لا تزال تتبعه هذه الكلمة حتى يقبر في زوايا النسيان ويكون آخر ما يشيعه الدين

ميراثنا الديني

حقاً ان الانسان ليقف حيال تلك المحال التي شرحناها وقفة المندesh المفكر سائلاً من اين
سرى اليها هذا الاعتقاد الذي تردده افواهنا صباح مساء . ثم كيف اصبحنا آلات جامدة لا تكاد

تحرّك إلا بالدين والدين كأنما لم يخلق الله لنا عقولاً أو كأنما نحن مسخرون بلا ارادة ولا تميز
لهذا وذاك على ما اظن اسباب حجة اهمها ما ورثناه وتوارثته العصور السالفة من الركن
في كليات امورنا المعاشية وجزئياتها الى تقليد اسلافنا المعروفين بالورع والتقوى في جميع اعمالهم
واقوالهم ونسبة ذلك الى الدين او نسبة الدين اليه . فايما كلمة او ايما حركة صدرت من رجل
قريب عهد بنشأة الدين سواءً اخطأ فيها او لم يخطئ وسواءً راعى فيها مقتضيات الزمان والمكان
او لم يراع اخذناها نحن عنه قضية مسلمة . وما اسرع ما نلبسها ثوب الدين حتى لا يتسع فيها
المجال للبحث والتفنيد . كذلك من جملة الاسباب التي آلت بنا على تعاقب الازمان الى ما نحن
فيه انتشار بعض المذاهب المتطرفة وميل العامة الى التغالي في الدين واعتباره كافلاً بكل
شيء أخذاً بظواهر بعض الآيات والاقوال الماثورة كقوله تعالى ” وما فرطنا في الكتاب
من شيء “ او كقول سيدنا علي كرم الله وجهه ” لوضع عقال بعيري لوجدته في القرآن “
ولعلي لا أجد هنا اثباتاً لذلك خيراً من توجيه الانظار الى التاريخ وتعقب حوادثه . فكم
من حركات دينية وقفت في وجه مكتشفات علمية صحيحة لا لعلّة اكثر من تأويل فاسد او فهم
سقيم . ثم كم من كلمة قيلت عفواً بل كم من حركة بدرت من بعض قريبي العهد بنشأة الدين
كانت حاجزاً منيعاً ضد كثير من المبادئ العلمية الثابتة لالسبب آخر غير اثباتها لاجانب الدين
والأمثلة على ذلك حجة يملأ شرحها المجلدات الضخمة ولكنني ذاكر هنا للقارىء بعضها بالايجاز
لنتجسم الحقيقة امام عينيه فيعلم اي ميراث ورثنا عن اجدادنا الغابرين
اثبتت المدينتان المصرية واليونانية ان الارض كروية الشكل لا منبسطة كما يتوهم الناظر
الى سطحها لاول وهلة ولكن هذا القول لبث لا يتعدى العلماء ومن يلوذ بهم الى ان جاءت
المدينة الاسلامية وعربت مؤلفات علماء اليونان فسرى الى المسلمين هذا القول وقامت تدوير
عنه فئة الباحثين والعارفين ولكنها لم تكد تظهر بهذا القول حتى قامت ضدها حرب شعواء
الزمتها ان ترجع القهقري زمناً طويلاً من جماعة المتطرفين المدعين التمسك بالدين اولئك الذين
لم يكن لديهم من الحجج اقوى وامضى من بعض آيات ورد فيها ان الله بسط الارض ففعل
بعد ذلك ان تصوّر اذهانهم انها كروية الشكل والاّ لزمهم تكذيب القرآن والعباد بالله .
نعم لا انكر ان بعض كبار الفقهاء رأى ورأيه الحق ان لا تنافي بين الآيات واعتقاد كروية
الارض لان البسط معناه الاتساع ولكن هذه الحقيقة لم تشع في الامة وبقيت يعترها الشك
عند كثير من تسميهم علماء . وكأني بنا لولا اتصال نور المدينة الغربية الينا وقيام الادلة المحسوسة
من جانب هذه المدينة على صحة هذا القول لبقينا الى الآن يرتاب القليل منا فيه ويعتقد

أكثرنا كذبة تشيعاً للقرآن واخذاً بظاهر اللفظ في الآيات

مثل آخر — انتهت الدولة الاموية وكان الاسلام قد اتمَّ أغلب فتوحاته ثم جاءت الدولة العباسية فاشتغلت الامة فيها بالنظر في العلوم ولم يمضِ قليل من السنين حتى برز كثير من ابطالها في انواع شتى ونبغ كلٌّ منهم في ما اشتغل به وكان اهم ما اتجهت اليه الافهام النظر في علوم الاقدمين كالليونان والرومان والهنود والاعجم فبحثوا فيها طويلاً وارتاحت اليها عقولهم واخذوا يذيعونها بين الافراد الا انهم لم يكادوا يظهرون بهذا المظهر حتى جاءتهم صيحة من جانب رجال الدين بانهم ينشرون اقوالاً تخالف ما جاء به القرآن وما اسرع ما اتهموا بالزندقة والكفر فكان من هذا الاتهام مسوغ لمحاربتهم باحراق تآليفهم تارة وتشريدهم تارة اخرى وهدر دمائهم في غالب الاحيان . وما زال امرهم كذلك حتى انطفأت نارهم واستتب لفتنة التطرف وسوء الفهم الظفر باسم الدين . ولعمرك الله ما للدين في ذلك من ذنب ولكن هم حملته الاغبياء السقيمو الفهم استعملوه سلاحاً ماضياً فخلب برقهُ جهل العامة فتشيعت اليهم . فهم وحدهم المذنبون وهم هم المجرمون

مثل آخر — ولماذا نذهب بالامثال بعيداً وها نحن منذ بضع سنوات انتشر في بلادنا مرض الكوليرا ذلك المرض الذي اثبت الطب واثبتت المشاهدات اثباتاً لا مجال للشك فيه انه من الامراض المعدية وانه ينتقل من الشخص الى غيره بطريق العدوى . فما كدنا نسمع الاطباء يعلون الامة ذلك وينصحون الناس باجتناب الاختلاط حتى اخذت البعض منا الرب وجعل جماعة منا يتساءلون في معنى الحديث القائل « لا عدوى ولا طيرة في الاسلام » وآخرون يعترضون بالحديث القائل « فرَّ من الاجذم فرارك من الاسد » ففريق مكذبون وفريق مصدقون ليس الا تشيعاً لاحد الحديثين ودون ان يكون للبحث العلمي قيمة تلقاء هذا التكذيب والتصديق

امثلة اخرى — لو اردنا ان نستوفي ذكر امثال هذه الحوادث لطال بنا الشرح وخرجنا عما نحن فيه فحسبنا ما تقدم ثم حسبنا انه وجد في عهد المدنية الاسلامية نفر قالوا بلزوم العلوم الدنيوية للانسان لزوم الماء للنبات فصاح في وجههم آخرون يرددون قوله تعالى « وما خلقتكم الا لتعبدون » . ثم قالوا ان قيمة الانسان في الحياة بعمله وجدده فصاحوا عليهم « الاسلام يعلو ولا يعلى » . ثم قالوا بعد انقضاء عهد الوثنية لا تحريج على تصوير الاجسام توصلاً الى معرفة علم التاريخ الطبيعي فصاحوا ولا يزالون يصيحون « كل مصور في النار » ثم اشياء اخرى كثيرة كلها على هذا القياس

هل يدهشنا بعد ذلك ان يكون مثل السلطان محمود الثاني يرى في بقاء الجنود النكشارية على نظامهم القديم خطراً على الاسلام والمسلمين ثم يريد ان يبدل نظامهم فيظهر امامه شيخ الاسلام وفي يمينه فتوى بان مثل هذا الاصلاح ليس من الدين بل ينافي الدين . او هل يدهشنا ان يراد ادخال العلوم العصرية كاللتنج والجغرافيا في عدد العلوم التي تعلم بالازهر فيضع البعض منا قائلين هذا ضد الدين . او هل يدهشنا ان يقوم منا داع الى تعليم النساء فلا نكاد نتلو دعوته حتي نفزع بآمالنا الى الدين متسائلين هل امر بذلك او لم يأمر ثم يقوم قاضي قضائنا مجيباً فيجعل تعلم الدين فرضاً وتعلم العلم مستحباً مخالفاً بذلك الحديث الشريف « من اراد الدنيا فعليه بالعلم ومن اراد الآخرة فعليه بالعلم ومن ارادها فعليه بالعلم » . او هل يدهشنا اخيراً ان يقوم منا غداً من يريد انشاء طريق او عمارة بيت فتقع في الحيرة ونسأل بماذا امر الدين

هذا نحن وهذا ما ورثنا فلا غرابة بعد ذلك ان ترانا كلما عرض فينا نقص يراد استكمال الآلات تسبح باسم الدين دون ان يتجاوز ذلك التسبيح الافواه الى الخلاقيم ودون ان نعرف اذا كان الدين حقيقة قد استكمل هذا النقص ثم كيف ارشد الى طريق استكمالها . بقي ان نعرف هل في النداء بالدين على هذه الصفة نفع لنا او للدين وهو ما نبحث فيه الان عسى ان يهتدي به قوم يبصرون

هل في النداء بالدين فائدة

عرفت مما تقدم اننا ورثنا من اجدادنا كلمة تسمى « الدين » تصفها السننتنا بكل صفات المدح والكمال ولا نكاد نفهم من حقيقتها سوى بضع عادات وتقاليد انتجها كلها الفهم السيئ والتغالي المضر . فقل لي بربك اي فائدة لنا من النداء بالدين على تلك الحال او اي فائدة اجنتها الدين وقد مضت الايام والسنون ونحن على هذا النداء
دع التعصب للماضي وانظر في الامر بعين غير شوساء تجد اننا اليوم كما كنا منذ اعوام وكما كنا منذ قرن نضع الدين نصب اعيننا في كل حركاتنا وسكناتنا ونعتقد اعتقاداً راسخاً اننا ما سقطنا الا لسقوط الدين بيننا ويبحث بعضنا بعضاً على التفاني في اتباعه وقصر جباتنا عليه فما الذي استفدناه او ما الذي استفادته الدين

يخيل لي اننا لم نستفد غير غوغاء الهتنا عن النظر في شؤوننا السياسية والاقتصادية حتى اصبحنا نعيش عيشة النبات وكانت سبباً في اتهمنا بالتعصب الديني والجهل ورمي الدين الاسلامي الذي اعتقدنا ونعتقد اننا ما سقطنا الا لسقوطه بانه علة ما نحن فيه من التأخر والانحطاط

هذا هو كل ما استفدناه وفي ظني ان نظرة واحدة يلقيها كل باحث في الامة الآن وقبل قرن من الزمان تكفيه لكي يقتنع باننا لم نستفد شيئاً آخر

اما ما استفادناه او يستفده الدين من النداء به في كل آن ولكل مناسبة فربما توهم الفكر لاول وهلة ان في النداء به حثاً على التعلق باذياله وتوجيهاً للانظار اليه ومن هذين يكون انتشاره وتمكن كلمته في النفوس وتلك هي الفائدة التي يتبعها لنفسه الدين . ولكن هذا الوهم ليس الاً سراباً يغر الانظار والحقيقة التي لامرية فيها والتي يرشد اليها البحث والعقل ان في النداء بالدين اليوم وهو كما هو من الانحراف عن صورته الاصلية خطراً عليه لا يبعد اذا لم تداركه ان ينتهي بالفحالة وضياع اهله في قليل من السنين

كلنا نعرف بان الدين كما هو اليوم قد غيّرت صورته الاصلية وتلبست به عادات سخيفة اصحبت معها حقيقة ضائعة كل الضياع بحيث يعسر ان يرد كثير من احكامه المتداولة الى اصل صحيح فيه . وما بغريب ان يكون كذلك فان ديناً يجري به اهله على مثل ما جرى اسلافنا من التطرف وسوء الفهم قرونًا عديدة يتعذر ان لا تمسخ عقائده او ان تبقى ثابتة غير محرّفة او مقلوبة . ولعل الذين اشربوا حباً اعمى وتشيعاً كاذباً للدين ينكرون ذلك فكلمتي اليهم ان ينزعوا برهنة من صدورهم بعض ما بها من التشيع ويعنوا انظارهم في من نسميهم حملة الدين ونثله في اشخاصهم عساهم اذا فعلوا ذلك ان تزول غشاوة التشيع عن ابصارهم فيقفوا على الحقيقة من هم اولئك الحملة وفي من نتجس صورة الدين ؟ افي طلبة بعض مدارسنا وهم لم يقبلوا علوم الجغرافيا والرياضة والتاريخ الا بعد اللتيا والتي ؟ ام في العلماء واكثر من نعلم منهم من اذا جاء من الصلاة مياعداها بسمل وحوقل وتوضاً وقام وركع وسجد ثم اذا خرج عن ذلك كله وجدته العابد للدرهم القليل العلم الضعيف العقل المغلوب على امره المدخول عليه حتى في دينه ؟ ام في طائفة الفقهاء وهذه الامثال لا تضرب الا بهم في كل خلة لا يتصف بها المميزون من الاطفال ؟ ام في الامة نفسها وهي لا تعرف من الدين غير رفع الصوت والجهر بالصلاة والتسليم على النبي عند ذكر اسمه في كل مقال ؟ ام في غير هؤلاء وليس في البلاد من نعرف سوام

اذا عرفت هذا وعرفت ان الامة الآن في الدور الاول من نهوضها فاي خطر على الدين اعظم من تنبه العقول اليه وهو كما هو يوم تشط الافهام وتهتم النفوس مسترشدة بنور العلم الصحيح فتلثت الى جانبها وترى الدين كما وصفناه وقد صار اكثره مجموع عادات وتقاليد انتجها الفهم السيء والتغالي المضراً لا تكون النتيجة الطبيعية ان تنفر منه العقول لاعتبارها اياه نقصاً وعيباً بل حجر عثرة في سبيل التقدم واتساع الافهام

لدينا في التاريخ مثل من هذا القبيل لو اردنا لجعلناه عظة لنا تعظ بها عسى ان ندرأنا
الخطر الذي نحن عليه قادمون . هذه بلاد اوربا كان اهلها قبل العصر الذي يسمونه عصر
النهضة والاصلاح مستسكين بعري الدين المسيحي متشيعين لكل ما يأتي من جانبه فازالوا
يتغالون وبتطرفون حتى انتهت بهم الحال الى حصر الدين برمته في الكنيسة ولم تمض على ذلك
سنوات حتى اصبحت الكنيسة صاحبة التصرف المطلق فيهم وتوجههم الى الحروب الصليبية
فيعانون المشاق ويكابدون الاهوال ويهلكون الوفاً ومئات الوف حياً في الدين ثم تسائر
بالاموال فلا تجد منهم الاً ملبين خاضعين يقدمون اليها اموالهم باسم الغيرة على الدين . ثم
تستولي على الكتاب المقدس وتحرم على غيرها فهمه وتفسره فيتلقون اوامرهم بالرضى والطوع
عملاً باوامر الدين . ثم تقف امام العلوم مخافة ان يكون فيها ما يخالف الدين . وما زالت على
حالتها تقتتئ في كل يوم على الدين باسم الدين والناس لا يعرفون الاً كلمات تسمى الدين يتغالون
في جهاد الغيرة عليها حتى اخذ شعاع العلوم ينفذ الى الازدهان وابتداءً دور النهضة فقام القسوس
وقعدوا آخذين بتلايب الامة باسرها ينادونها الدين الدين اطلبي الكمال والرقى والنهضة من
جانب الدين . وظلوا يصدعون آذانها بهذا النداء حتى تنهت العقول ونظرت الى الدين كما
صوروه لها فنبذه البعض وضعفت سلطته عن البعض الآخر

وها نحن اليوم نوشك ان نصنع في ديننا كما صنعت بدينها اوربا من قبل . نعرف يقيناً ان
ديننا قد تلبس بعبادات وتقاليد سخيفة الصقته به القرون الغابرة وان ليس فينا من يمثله حق
تمثيله ثم نجدنا تكاد اصواتنا تيج من النداء به وطلب الاسترشاد بقواعده نريد بذلك ان نهمل
حياتنا ونحن الآن في القرن العشرين قرن العلم والعمل والمزاخرة وقفنا على استخراج الحقائق من
بطون مؤلفات عتيقة ابلاها الدهر وابلى افكار ذويها ثم تقليد بعض السلف من اجدادنا في
افعال ان هي ناسبت عصورهم فبحال ان تناسب العصر الذي نحن فيه

مضت ازمان طويلة تعبت فيها السنننا من كثرة الحث على اتباع الدين واعتباره كائناً
برقينا وسعادتنا فمن منا اجاب هذا الحث واينا التفث اليه وقام يعلم الناس كيف تنفع الصحة
وتثمر العمل الصالح ؟ لعلنا لكثرة ما استولى على عقولنا وافهامنا من الذهول ثم لشدة ما ألقي
على ابصارنا من الغشاوات لم نعد ندرك ونرى ان كثيراً منا اغلبهم المتربون والمتعلمون الذين
لم المستقبل وعليهم الاعتماد قد بدأت تعثرهم الشكوك والوساوس واخذت الظنون الكثيرة
ترد على افهامهم حتى اذا حاولوا ان يطردوها لم يزلها ذلك الاً تغلباً على مدركاتهم وتأصلاً
في اذهانهم ؟ نعم لقد ذهلتنا حتى لم نشعر بما يجري حوالينا وغرتنا الاكاذيب والترهات فظننا

ان في النداء بالدين وهو كما هو احياء له وبتألقوا عدم الصحة فما زلنا قائمين على هذا النداء حتى اصبحنا الان فاذا النتيجة معكوسة واذا نحن لاهون لانعرف الخطر الذي نحن عليه قادمون ألا فلنعرف ولو ساءت هذه المعرفة اننا بجهلنا الاعمى وتشيعنا الكاذب قد اوصلنا الدين اليوم الى حال ان استمرت ولم نقف في طريقها ادت ولا محالة الى زواله . لنعرف ذلك ولنفقه جيداً انه وان لم يبدُ لذلك اثر ظاهر للآن فما هو الا لان حرب التنازع بين الاعتقاد الموروث والشكوك العارضة لا تزال في بدايتها وليس ينتظر من شكوك حادثة ان تفوز على اعتقاد موروث الا بعد جهاد طويل فالقول الا ان تسرب اليها الشكوك وتأخذها الرب فنجاهد لردّها وفي كما ردّت منها واحدة جاءت واحدة فلا تزال كذلك حتى يمسه التعب وينالها الكلال فلا تجد مخلصاً منها الا ان تتركها وتترك البحث فيها راضية بالتسليم للدين ظاهراً تبعاً لحكم الوراثة . ولئن بقينا على تلك الحال زمناً ليأتين يوم يحى فيه اثر الوراثة ونقوى الاسنة على ترديد ما يخرج في الضمائر فينادى فينا جهوراً بان الدين امسى ممتزجاً بالشوائب فيجب ان نبذ ونجحد أكثرنا يومئذ سامعين مصدقين

لا بقول مندفع الى اريد بهذا ان يترك الدين جانباً فعاذ الله ثم معاذ الله ان اريد ذلك او ان يحظر على فكري شيء منه . انما اريد ان يلبس الدين بيننا ثوبه الحقيقي ذلك الثوب الابيض الطاهر الذي تنظره الابصار فيعجبها جماله وتسرها حقيقته . اريد ان ترمى تلك التقاليد والعادات الموروثة التي تلبست بالدين بعيداً ليعود خالياً من الشوائب يتسع المجال فيه لفهم السلام والنظر الصحيح . اريد ان تحفظ للدين كرامته فلا يجعل هدفاً لكل متشدد مغرور يتجر بالنداء به على جهل ولغير داع . اريد ان تحي من بيننا آثار التغالي والتشيع فنعمل ان القرآن لم ينزل الا بقواعد عامة للناس جميعاً فلنا ولكل امة ان تنصرف في مدلولاتها بما يناسب الزمان والمكان دون تقييد او حرج على الافهام الا ما يخرج عن الدين . اريد ان لا يؤتى بكلمة الدين امام العلم ليقال ان آية او حديثاً يعارض معناها شيئاً من العلم فان الدين لم ينزل ليعلم الناس العلم او لينافي العقل في شيء حتى يعارضهما ولو في بعض الاحايين . اريد اخيراً ان لا نكثر من الصياح باسم الدين حتى لا تلتفت العقول الناشئة اليه قبل ان يظهر في ثوبه الحقيقي لئلا تنفر منه ونكون قد جنينا من حيث طلبنا الفائدة

هذا هو كل ما اريده نشرته لتطلع عليه الامة عسى ان تلتفت اليه وتنظر فيه فتعلم انها مشككة ان تقدم على خطر لا ينبغيها منه الا شدة الاحتراس والحذر . ولعلي لا اعدم من يسفون رأبي ويتفاءلون للامة ودينها بالخير من وراء الحركة الحالية اخذاً بظاهر قوله تعالى

« انا نزلنا الذكر وانا له لحافظون » فكلمتي الى هؤلاء ان يسمع الله في آجالهم مئة عام لينظروا باعينهم ماذا يكون يومئذ من امر الدين اذا نحن لم ندرأ الخطر . والله اسأل ان يوفقنا الى اقوم طريق

عبد القادر حمزه

الحامي

الاسكندرية

العلم في العام الماضي

الانثروبولوجيا او علم الانسان — لم يتقدم كثيراً في غضون العام الماضي ولكن كان لخطبة الاستاذ كارل بيرسن التي خطبها تذكراً للاستاذ هكسلي شان كبير لانه بحث فيها عن وراثة الصفات العقلية والادبية . واتجهت افكار علماء هذ الفن الى البحث المدقق في احوال اهالي جزائر البحر قبل انقراضهم . واكتشف المسترييدنل كثيراً من قطع الظران في صحراء اليوم حول موقع بحيرة قديمة ترجح منها وجود الناس في القطر المصري في العصر الحجري القديم (بليولثك) لكن بعض العلماء ينفون ذلك

الفلك — اهم ما حدث في العام الماضي ازدياد الاضطراب في الشمس وظهور الكلف الكبيرة فيها كما وصفنا ذلك بالاسهاب في الجزء الاخير من السنة الماضية ويقول الاستاذ نيوك ان معظم هذه الكلف سيكون في الشهرين الاخيرين من هذا العام اي في نوفمبر او ديسمبر والابحاث الجديدة في نور الزهرة تؤيد ما قيل قبلاً من انها تدور على نفسها مرة كل ٢٢٥ يوماً . وارتأى اثنان من العلماء ان الخطوط التي ترى على وجه المريخ خطأ في العين فانه اذا وجدت نقط منفصلة على سطح ونظر اليه عن بعد رأت العين خطوطاً تصل بين تلك النقط واثبت ذلك بالامتحان . ورئيت بقع كبيرة منتشرة على الجانب القطبي الشمالي من زحل وظهر انها تدور معه دورة كاملة كل عشر ساعات و٣٨ دقيقة مع ان زحل يدور على محوره مرة كل عشر ساعات و١٥ دقيقة بحساب الاستاذ هول . وبلغ عدد النجمات المكشوفة حتى آخر السنة بين المريخ والمشتري ٥٩٠ نجمة وقد وجد المسيو كالدرو ان اهليجية النجمات البعيدة عن الشمس اكثر من اهليجية النجمات القريبة منها واكتشف الاستاذ جيا كويني مذنباً في الخامس من شهر يناير قرب بعد ذلك حتى صار يرى بالعين . واكتشف مذنب آخر في زيلندا الجبلية في ٢١ يونيو اقرب في يوليو حتى صار يرى بالعين ايضاً وكان له نواة واذناب كثيرة طال احدها حتى بلغ طوله ثمانين درجاة ونصف درجة . وحقق المسيو بروتين سرعة النور ١٨٩٢٢٥ ميل

ونصف ميل في الثانية والدكتور تشندلر بعد الشمس عن الارض ٩٣١.٧٠٠٠ ميل والاستاذ
نيوك ان نور المجرة مضاعف نور بقية نجوم السماء

البيولوجيا اي علم الحياة — اهتم علماء البيولوجيا بالبحث عن الاحياء التي تسبب بعض
الامراض ولا سيما مرض النوم المنتشر في قلب افريقية فوجدوا سببه جسمًا حيًا صغيرًا يكون
في الدم ويتصل منه الى الاعصاب والموصل له الى الانسان نوع معروف من الذباب ولم يوجد
علاج حتى الآن يمت هذه الاحياء من جسم المصابين بها . واثبت الاستاذ مكفادين ان
السوائل التي تكون في جسم الميكروب اذا حقن بها حيوان مناسب تولد في جسمه مصل يقتل
ذلك الميكروب ويبقى من سمه ولم يثبت ذلك في كل الميكروبات بل في نوع منها ولا يبعد ان
يكون هذا الامر عامًا

الكيمياء — اهم الابحاث الكيماوية التي جرت في العام الماضي البحث في خصائص الراديوم
وتولد الهاليوم منه وقد اشبعنا الكلام عليه ولم نفعل الا بعض الامور الكيماوية التي يتعدّر
فهمها على جمهور القراء كفعله في حل اليودوفورم . اما ما قيل عن فعله في شفاء السرطان فلم
يزل في حيز الامتحان . ولا يعلم ما يكون من امره متى امكن استخراج مقدار كبير منه فقد قال
الاستاذ رذرفرد انه اذا وضع ستمتر مكعب منه في انبوب من الزجاج احماه الى درجة الحمرة
بالحرارة المتولدة منه او صهره صهرًا . ووجدت منه اشعة تجرق لوحًا من الحديد سمكه قدم
ونيز ستارًا موضوعًا امامه كما تنيره اشعة رنتجين . ومما يذكر في هذا الباب ان وسام الكيمياء
المعروف بوسام السرهفري دافى اعطى لمدام كوري وزوجها لاكتشافهما عنصر الراديوم وهذه
اول مرة اعطى فيها هذا الوسام لامرأة . واعطيت جائزة نوبل للاستاذ ارهنيوس صاحب المذهب
الذي شرحناه سنة ١٩٠٢ . وقال الميسو بلندلوانه اكتشف اشعة سماها اشعة N ادعى لها افعالاً
غريبة ثم ظهر انها اشعة الحرارة العادية والافعال المنسوبة اليها انما تحدثها الحرارة

الكهربائية — كان البحث في الكهربائية يحسب فرعًا من الطبيعيات كالبحث في النور
والحرارة اما الآن فقد اتسع نطاقه جدا حتى صار علمًا قائمًا برأسه وصار اوسع من البحث في كل
المواضع الداخلة في علم الطبيعة . وقد كان للكهربائية شأن كبير في العام الماضي اذ حاول
بعض العلماء تحليل خواص المادة بخواص الكهربائية اي حسابان المواد كلها مؤلفة من ذرات
كهربائية وقد نشرنا خطبة في ذلك للسراويلفر لدج جعلنا موضوعها المادة واحداث المذاهب
فيها . واستخدم السراويلفر لدج الكهربائية لتبديد الضباب الذي يكتنف مدينة لندن فنجح في
ذلك بعض النجاح

وسار تلغراف مركوفي في سبيل النجاح وشاع تلغراف ده فورست الاميركي وهو مثل تلغراف مركوفي. وعقد مؤتمر في برلين في شهر اغسطس بطلب امبراطور المانيا حضره مندوبون من بريطانيا وفرنسا وايطاليا وروسيا والنمسا واسبانيا والولايات المتحدة وقرّ اعضاؤه على ان مراكز التلغراف الذي لا سلك له سوا كان من نوع مركوفي او ده فورست او غيرها اذا وصلتها رسالة كهربائية من سفينة في البحر وجب عليها ان تقبلها وترسلها الى حيث يراد ارسالها لكنها رسالة تلغرافية عادية

وجرب الالمانيون الكهرباء لسير القاطرات بسرعة شديدة فبلغت سرعة قطارهم الكهربائي ١٣١ ميلاً في الساعة. وختمت السنة وحكومة بروسيا تنظر في مشروع سير القطارات بهذه السرعة بين برلين وهمبرغ

الجغرافيا - اتجهت همّة الاوربيين منذ زمن الى اكتشاف الاصقاع الجنوبية التي انحط بالقطب الجنوبي وكان هناك اربع رسالات في العام الماضي رسالة المانية ورسالة اسوجية ورسالة اسكتلندية ورسالة بريطانية فرجعت الثلاث الاولى وبقيت الرابعة فارسلت سفينة المورنج (الصباح) لمعوتها فوجدت سفينتها واسمها دسكفري (الاكتشاف) مقيّدة بالجليد لا تستطيع حراكاً ولم تستطع سفينة المورنج ان تدنو منها الى اقرب من عشرة اميال لسمك الجليد الذي حولها

وابعد ما بلغه المكتشفون الدرجة ٨٢ والدقيقة ١٧ من العرض الجنوبي فيق بينهم وبين القطب نحو ثمانين درجاة ووجد عند الدرجة ٨٠ سلسلة جبال ارتفاع بعضها ٩٠٠٠ قدم. والبرد شديد جداً في تلك الاصقاع فتبلغ درجته ٥٧ تحت الصفر

والسفينة التي ذهبت فيها الرسالة الاسوجية اطبق عليها الجليد فكسرها وارسلت حكومة ارجنتين سفينة انقذت الذين كانوا فيها واصلتهم الى بونس ايرس في شهر اكتوبر الماضي. وعادت الرسالة الالمانية سالمة غائمة ولكنها لم توغل مثل غيرها جنوباً. واستمر البحث في الاصقاع الشمالية ولكن لم تكتشف فيها اكتشافات مهمة

وعاد الماحور بول كتن من افريقية بعد ان قضى عشرين شهراً في قلبها وظفر بالزرافة ذات القرون الخمسة وقد ذكرنا خلاصة ما لقيه فيها في جزء اكتوبر الماضي في الكلام على هذه الزرافة. واكتشف غيره من السياح والرواد ستة قبائل جديدة لم تكن معروفة من قبل وسارت رسالتان الى بلاد التبت في اسيا ومسخت ٣٨ الف ميل من الاراضي التي لم تمسح قبلاً واكتشفت فيها بحيرات لم تكن معروفة من قبل منها بحيرة مساحتها سبعون ميلاً

الجيولوجيا -- وجد في كهوف قبرص عظام نوع صغير من فرس النهر ليس اكبر من الخنزير، ووجد فيل كبير مغمور بالثلج في يكو تسك بسيريا سنة ١٩٠٢ فاتي به في العام الماضي الى دار التحف في بطرس برج وقد وجد سليماً وفه مملوء نباتاً والظاهر انه كان يرعى على جرف مار فسقط به الى واد عميق طمره الثلج فيه واماته وحفظه من البلي هذه السنين الكثيرة الى ان وجد الآن . واهم المباحث الجيولوجية كان في القطر المصري وقد وصفناه في حينه

الامير بشير الشهابي

انفتح ممّا في الجزئين السابقين ان الامير بشيراً لم يكن مستقلاً في ولاية لبنان بل كنّ والي عكاء السلطة المطلقة عليه يوليّه ويعزله كيف شاء وان تكن الدولة قد صرّحت له بعض الاحيان انه مستقل في الولاية التي كانت للامير نحر الدين المعني . ولو شاء الاستقلال ما نذر عليه لانه مما يميل اليه اللبنانيون بالفطرة كما يميل اليه سائر اهالي الجبال وقد اعربوا عن ذلك مراراً واشترطوا عليه مرة أنهم يقبلونه والياً عليهم بشرط ان لا تكون ولايته من الدولة . امام فكن على رفعة قدره وعلو همته يقف امام ولاية الدولة كاصغر الصعاليك ويخاطبهم مخاطبة العبد لمولاه وهم يخاطبونه مخاطبة السيد لعبده الا اذا ارادوا ان يتلقوه للاستعانة به على نفال او لاستخدامه في ابتزاز اموال الرعية فانهم كانوا يخاطبونه حينئذ بشيء من التجميل ويكرمونه اذا قبل اليهم . وكان سليمان باشا اليهم عريكة من هذا القبيل فتوفي سنة ١٨١٩ وطلب الولاية بعده عبد الله باشا بن علي باشا الخزندار فبعثت اليه الدولة بفرمان الولاية وحضر منه كتاب الى الامير بشير يخبره فيه بان الولاية آلت اليه وبامره بان يبادر ويحنفل بشي هذه البشري في انحاء الجبل . ففعل الامير كما امره عبد الله باشا وبعث اليه بالهدايا من الخيول المطهمة والسروج المذهبة فاجابه بارسال خلعة الولاية اليه وارسل منشوراً الى اهالي لبنان رأينا ان ثبت صورته هنا كما وردت في تاريخ الامير حيدر الشهابي لانها مثال لما كان يرد من نوعها ممّا تجود به قريحة الكتاب ولو خالف الواقع وهي

”صدر المرسوم المطاع . الواجب القبول والاتباع . الى افتخار الامراء الكرام . مرجع الكبراء الخدام ذي القدر والاحترام ولدنا الامير بشير الشهابي دام مجده على الدوام . والى الامراء والمقدمين والمشايخ وشيوخ العقل والعقال وارباب الكلام والمباشرين والوجوه والرعيا في جبل الشوف وكسروان وتوابعهما على وجه العموم ليعلموا انه غير خاف عليكم التكريم الرباني والامداد

الصمداني بفيض مراحم حضرة مولانا سلطان السلاطين وخاقان الخواقين ولي نعم العالم . معدن
الراحة لبني آدم . ظل الله على العالمين خلد الله سرير سلطنته على مدى الايام والسنين .
وانعطافه علينا برتبة الوزراء السامية وتوجيه ايالة صيداء وطرابلس الشام وقيادة الحمل
الشريف ومحصلية لاذقية العرب ولواء غزة هاشم والرملة ويافا والد وجميع الاملاك التي
كانت لسلطاننا المرحوم المبرور المغفور له الحاج سليمان باشا طاب ثراه مع الانعام علينا بكمال
متخلفاته ومتروكاته . فسبحان الله تعالى شكراً على هذه المنة العظيمة والموهبة الجسيمة . وبسطنا
اكف التضرع والابتهاال . الى حضرة الملك ذي الجلال بدوام دولته الزاهرة . وتأيد صوليه
الفاخرة على عمر الايام والليال . وعلى الله الاجابة والقبول فانه خير مسؤول . واكرم مامول .
والآن قد قررنا وابقينا التزام جبل الشوف وكسروان وما يليهما على الامير المولى اليه
لاستقامته ونجاته وكفائته ودرايته فليكن ذلك معلوماً عندكم وتكونوا تحت طاعته وتوردوا
عن يده الاموال الاميرية . والمطالب السلطانية . ونبتاعوا اشغالكم واعمالكم آمينين مطأئين
وتواظبوا على بذل الادعية الخيرية لحضرة مولانا السلطان نصره العزيز الرحمن . ونحبر
الامير المولى اليه انه يجب عليك الاهتمام براحة العباد . وعمار البلاد والاجتهاد في حسن
الضبط والربط . واقامة العدل والانصاف . وابطال الجور والاسراف . وليكن كل ما تأمر
به وننصرف فيه مطابقاً للشرع الشريف . وموافقاً للقانون المألوف من كل تالد وطريف .
والآن لاجل رفع شانك على اقرانك قد ارسلنا اليك خلعة فاخرة من ملابسنا عن يد افئدة
الاماجد والاعيان خزندارنا حالاً محمد آغا زيد تجده . فيقتضي ان تبادر الى ملتحاها وتسربل
بها . وتتلو مرسومنا هذا علناً على رؤوس الاشهاد . وان شاء الله تكون هذه السنة ابرك السنين
على جميع العباد . والجميع لا يشاهدون منا الاكل ما يسر خاطر ويقر الناظر . وبناءً على ذلك
قد اصدرنا اليكم مرسومنا هذا من ديوان محروسة دار الجهاد فاقرأوه واعتمدوه غاية الاعتناء
ويقال انه لما حضرت الخلعة الى الامير بشير التقاها مسافة غلوة كما جرت العادة وتسربل
بها . ولعلها كانت جبّة لا تساوي دينارين والذي بعث بها اليه لم يكن امنع منه جانباً ولا
اقوى صولةً ولكن السيادة فطرية في الترك وهم اقدر من العرب على استعمالها

ومن الذين هنا والامير بشير بخلعة الولاية هذه ولده الامير امين فقال من قصيدة حسنة

ألا ايها المولى الذي بفعاله غدا تغر هذا الدهر باهي التبسم

سليكم يهديك التهانى بخلعة تيمس بدل الناعم المتنعم

جليلة قدر ذات عز وبهجة مقلدة عقدي جمال ومغنم

تزيد افتخاراً في لقاءك ورفعةً وتهنئةً شوقاً هزة المترنم

ولم تمض سنة على وصول الخلعة حتى وصل امر من عبد الله باشا بطلب مبلغ طائل من المال فاسقط في يد الامر وارسل بطرس كرامة الى عكا يتوسل اليه حتى يعفيه من ذلك او يهبه الى ان يتيسر له جمع المال المطلوب . فغضب عبد الله باشا وصرف بطرس كرامة وامر بارسال الجنود الى حدود البلاد من الارناووط والدلاية والحوارة وهي اسماء تهلع لها قلوب اللبنانيين لما كان يأتيه اولئك الطغام من الكبائر . وامر بالقبض على كل من يوجد في بيروت وصيدا من اهالي لبنان وباغلاق ابواب المدن في وجوه اللبنانيين . فارتاع اهالي البلاد من ذلك وعظم الامر على الامير بشير فاعاد بطرس كرامة الى عكا واعداً عبد الله باشا بتأدية المال المطلوب وكتب له صكاً بالف الف درهم يدفعها في شهرين وهي عشرة آلاف جنيه ولكنها بمثابة مئة الف جنيه الآن او اكثر لان ثمن اقة الحرير كان حينئذ عشرين غزاً او ثلاثين . واضطر ان يقترض المال من التجار واقترض من الشيخ بشير جنبلاط مئتين وخمسين الف درهم . ولم يكذب يتم ارسال هذا المال حتى جاءه كتاب من عبد الله باشا يقول فيه انه اهدى الى رجال الدولة كل ما كان عنده من التحف المجهورة ولم يبق عنده ما يليق اهداؤه وانه اتخذ بعض اهل بيته ولذلك فهو يطلب منه خنجرين مجهورين اهديا اليه واحداً منه وواحداً من سليمان باشا فارسلها اليه حالاً . وما مضى على ذلك ايام يسيرة حتى ورد منه كتاب آخر يطلب فيه خمسين الف ربيع دينار فندقني نفقة جيب له . فطلب الامير هذا المال من اهالي البلاد فاجتمع زعمائهم وتحالفوا على ان لا يؤدوا الا المال المقرر ولا يؤدوه الا في ميعاده ولا يؤدوا درهماً من تلك الزيادات وكتبوا الى عبد الله باشا ان الامير ظلمهم وارفقهم بمطالبه الكثيرة والتمسوا منه ان يقوا على عوائدهم القديمة . فاجابهم الى ما طلبوا وامرهم ان لا يرضخوا لاميرهم

الدولة تلج على ولاية الايلات في طلب المال والولاة يلجون على حكام الاقاليم وهؤلاء يطلبون المال من الاهالي فيامرهم الولاة ان لا يدفعوا . كذلك تكون السياسة القوية فلما رأى الامير بشير ان والي عكا بلج في طلب المال ويحرض اهل البلاد على عدم دفعه عزم على ترك الولاية وكتب الى عبدالله باشا بذلك وقام باولاده واعوانه وسار طالباً بلاد حوران . واشد بطرس كرامة في ذلك

رحلنا وخلينا المنازل بعدنا
ايضا بكفي ايض وبنان
فقمنا وخلينا بغير طعان
ايضا احتمال الذل اونهلك الوري

ولكن اجتمع اليه قبل خروجه من الجبل الامراء المعيون ووجوه البلاد وتحالفوا انهم لا يقبلون حاكماً عليهم غيره. وكان في البلاد حزب ناظم عليه وراغب في الولاية وله زعيمان من آل شهاب الامير حسن والامير سلمان فكتب هذا الحزب يلتمس الولاية لهما

وسرَّ عبدالله باشا بخروج الامير بشير من لبنان لانه كان يعلم ان الجزار قضى عمره وهو يحاول خلعه من الولاية فلم يستطع. وارسل خلعتي الولاية الى الامير حسن والامير سلمان الا انهما لم يستطيعا القيام بها. وكتب الامير بشير وهو في جهات حوران الى عبدالله باشا يسترضيه فاجابه انه راض عنه وحالما تبدر بادرة من الاميرين يعزلهما ويعيده الى الولاية

واضطربت نار الحرب حينئذ بين الدولة العثمانية والروس ودعت الحال الى حفظ التفرق فكتب عبدالله باشا يستدعي الامير بشيراً اليه وامر الحكام الذين يمر بهم في طريقه ان يكرموه ولعله اراد ان يهدد الاميرين به لانه لما وصل الى عكا كان المشايخ رسل الاميرين فيها فامرهم عبدالله باشا ان يتعهدوا له بالف الف درهم ومئة الف درهم على عجل فتعهدوا بذلك وكتبوا على انفسهم صكاً به لكن الاميرين عجزا عن جمع هذا المال ورضيا ان يتنازلا عن الولاية ويتركا اختيار الوالي لاهل البلاد فحضر الامير بشير الى دير القمر واجتمع اكثر الزعماء من امراء ومشايخ واعيان وتوافقوا وتوافقوا وكتبوا عهداً بينهم انهم يكونون يداً واحدة في مصلحة البلاد والذي تختاره اهالي البلاد حاكماً من بني شهاب يقبلونه حاكماً عليهم ويطيعونه ويؤدون الاموال السلطانية اليه وحينئذ طلب الاميران من الامير بشير ان يكون هو الحاكم فاجب محتجاً بانه يريد الراحة من متاعب الولاية وسألها ان يبقيا فيها. وتدل القرائن على انه خاف ان يطالبه عبدالله باشا بما تعهدا به من المال. وطلب عبدالله باشا المال من الاميرين فاعتذرا بان البلاد خرجت عن طاعتيهما لوجود الامير فيها ورأى عبدالله باشا ان ليس للولاية خيراً من الامير بشير فاعاد الولاية اليه وكتب اليه انه يبقى الولاية له ما بقي حياً واخاض عبدالله باشا الوداد للامير بعد ذلك واستعان به على قمع جنود درويش باشا والي

دمشق فابلى اللبنانيون بلاءً حسناً وانشد بطرس كرامه مهنياً الامير بظفروه فقال

سل الخطي والبيض الصقلا فهن عن الرجال كشفن حالا
وسل كوم النزال غزاة حرب بوادي التيم تشتعل اشتعلا
ويوماً اقبلت رايات قيس يقدر الخيل تعترك الجمالا
بشبان يرون الموت عزاً وشيب طالما اقمعوا النزالا
ونصر الله صاحبها يمينا وآية العز قارنها شمالا

تحوط به الحكمة على عتاق مضمرة يسابقن الخيالاً
 لديهم من سرارة الشوف اسد اذا ثبتوا حسبتهنم الجبالاً
 ولكن درويش باشا رفع شكواه الى الباب العالي على عبد الله باشا مدعياً انه منع اهالي نابلس
 عن تأدية الاموال المرتبة عليهم لاجل قيام الحج فامرت الدولة مصطفى باشا والي حلب ان يقوم
 الى دمشق ويعاون درويش باشا على عبد الله باشا فاضطر الامير بشير ان يغادر البلاد ويهاجر
 الى الديار المصرية كما سيحيي

بَابُ الْمُنَظَّرِ

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتحجيداً للادهان .
 ولكن الهدية في ما يدرج فيه على اصحابه فنحن برأى منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المنقط ونراعي في
 الادراج وعدم ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمنظر كظهورك (٢) انما
 الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيم كان المعترف باغلاطه اعظم
 (٣) خور الكلام ما قل ودل . فالملفات الوافية مع الاميجاز تستفاد على المطالعة

رد على رد وانتقاد

وفت على ما ادرجه الاديبان باحث مستفيد ومحمد رشيد افندي رداً وانتقاداً علي في
 مقالتي منزلة الشعر من التاريخ فاجيب

ان الاديب (باحث مستفيد) قد اوردت له حججاً قاطعة توجب عليه خلع نقاب اخفى
 حياءه فلا دفع حجة بحجة ولا قام بما اوجبت عليه الحجة وهذا سبيل لم اره لاحد من ارباب
 المناظرة وله الفضل ان اثبت جوازه في آداب البحث

تم تكلم عن منزلة مقالتي وهذا كلام لا يؤججه الي بل الى اصحاب الصحف واخذان
 الادب الذين اتنوا عليها ورحبوا بها فان رأى مؤاخذتي بانها حلت لديهم محلاً كريماً فما
 الالافني بان اقر بصدق مدعاه

ولعلم ان كثيراً من معارفي يدعون ان نقابه الوهمي انما هو مرخي على معياني وانني اكتب
 ما اكتب تحت هذا النقاب تشويقاً للخواطر تنويرها بفضل مقالتي فان خضت معه غمار البحث

الذي يريدُهُ كانت دعواهم اقرب الى التصديق وهو ما لا يريدُهُ حضرتُهُ كما اظنُّ^١
ثم عاب استخدامي المنطق في علم التاريخ ولم يبال بان التاريخ علم يراد به سرد حقائق
فتعايره من باب الدلالة الوضعية والدلالة الوضعية مبحث علم المنطق . اذن قد طرقتُ المبحث
من بابهِ كما انه لم ير انني اجبته على كلامهِ باعتبار دلاليته الوضعية والعقلية فهل يرى استنفاد
مناحي كلامهِ مأخذاً عليّ

ثم تنصّل في مبحث التعامل بالحجرين الكريمين من الكلام في العمران الى الكلام في الدول
فهل يتكرم عليّ بماذا يدعوا هذا التنصّل وهل هو جائز في المناظرات التي يراد بها تحقيق الحقائق
ومقالتنا الفاضل جرجي افندي يني في العرب قبل التاريخ لا تنعارضان مع ما اوردهُ .
فان كان يرى غير ذلك فعليه ان يؤيد دعواه بالادلة

اما الاديب (محمد رشيد افندي) فقد ادار عليّ سلافةً وخلاً فليته اعفاني من سلافة
وخله واقتصر على مجرد بيان ما عندهُ من التخطئة . وقد ذهب في قول حسان
تظلُّ جيادنا متمطرات تلطمهن بالخمر النساء

الى ان الجياد كانت مسرعة اشدّ اسراع بينما كانت النساء تنفض الغبار عنها . فليكره
باقامة دليل علي ان هذا الكلام ينطبق على صورة واقعية ليكون تحريجه مقبولا . وقال عن
حسان " وكان شاعر الاسلام والخمر عندهم حرام يومئذ نجسة الاستعمال " فكيف يوفق بين
هذا القول وغزل هذه القصيدة التي منها

كأن سبيئة في بيت رأس	يكون مزاجها عسل وماء
اذا ما الاشربات ذكرن يوماً	فهن لطيب الراح الفداء
نوليها الملامة ان المنا	اذا ما كان مغث او لحاء ^(١)
ونشرها فتركنا ملوكاً	واسداً لا ينهنها لقاء

وليعلم ان الاديب يعمل بمبلغ علمه وطاقته ولا يدعي عصمة ولا يترفع عن الافرار بخطاه
صدر منه . ولا اعلم من اين جاز له الحكم بخلو مقالتي من ابهاث وهي لم تزل تشر نقر
متلاحقة

المدرسة البطريركية في دير البتلند (لبنان) امين ظاهر خبر الله

(١) اي نصرف الملامة اليها ان اتينا بما نلام عليه كالغث اي الصرب باليد والحاء اي المشاة

البحر والسماء

على السماء وفوق الشمس اشعاري
وبين تلك وهاتا قد جرى قلبي
أرى جمالاً تعالى أن ألم به
كأنما الكون غيداء محجبة
فالبحر مقلتها والبر حاجيها
أو كان ذا البحر ديباج السما وقد اذ
أو هذه لبست من ليها حالاً
أو ظنت الشمس عجباً أنها خطفت
وخالَت الأرض داراً للسما فلذا
يا مسكن الشهب الزهراء كم عجب
إن تحلي فلنكا قد دار دائره
كلانك حسن والحسن بينكما
اني ارى الشمس تحت البحر مطفأة
كأنما هو كفت الأرض قد بسطت
أو غاصت الشمس تحت اللج هاربة
ألس تبصرها صفراء جازعة
تشبه الناس طهراً بالملائك من
والبحر أفقهم من افكهم وكذا
لو انصفوا لراوه في تلججه
لكن من ألف الانعام سمعه
ما للخصم اراه كاشراً فزعاً
مجرداً في تدجيه صفيحه
يقبه الموج حرداً ثم يقعه
والافق مكتتب حيناً ومبتسم
يا ايها الناس ان البحر موعظة
فكم عليكم به لله من حجج

وتحت اصداف هذا اللج افكاري
بمعجز الوصف من در وانوار
وجل خالقه من مبدع باري
تطل مشرفة من خلف استار
من فوقه جبهة زينت بأقمار
حل الوشاح فيها صدر السما عاري
ومن كواكبها زرت بأزار
بالحسن ابصار قوم دون ابصار
أقامت البحر مرآة بذى الدار
بعدن الدرر الغرا واسرار
فدونك اللج دوار بدوار
كالروض بأرج من اشتات ازهار
كذلك الماء ذو بأس على النار
الى السماء فجادتها (بدينار)
مما على الناس من هم واكدار
وقد خبا زند تلك الشعلة الواري
خبث الضمير وكانوا غير أبرار
لا تحمل الأرض الا كل غرار
على البسيطة كالمستأسد الضاري
يخال كل زئير نفخ مزمار
يخدش الارض من لج بأظفار
مستوفزاً بين بتار وتيار
ما بين منسحب منه وجرار
ما بين ليل دجوجي وأسجار
وضجة البحر ليست غير انذار
والذنب يغفر إلا بعد عذار

البحر ألين شيء ملمساً فاذا خاشنتموه بلوتم أي جبار
ولو تعاون كل الخلق ما قدروا ان يجسوا موجة من موجه الجاري
فكيف يحدد رب البحر قدرته وذلك أثر من بعض آثار
آمنت بالله ما شيء أراه سدي لكنها حكم تجري بأقدار
طنطا مصطفى صادق الرافعي

اقتراح

اقترح على حضرتكم ان تخصصوا باباً في مجلتكم لانتقاد الكتب المنتشرة بين ظهرانيا، ولو
فصتم الكتب المدرسية مثلاً التي تختارها "المعارف" لطلابها لوجدتم فيها كثيراً لا ينطبق
على روح التعليم الصحيح فاذا اظهرتم "للمعارف" خطاءها في اختيار الكتب للتدريس فيها
واشرتم عليها بالتخاب ما يفوق كتبها في اسلوب الوضع والتأليف تجدون بذلك الامه بل العلم
خدمة يتخلد لكم الذكر

كما اني ارجو حضراتكم ان تقرظوا وتنقدوا الكتب الشهيرة الجديدة باسمها ووضع
وتأتموا لنا منها بفصل او بعض شذرات كما فعلتم في تقرير "الخواطر العراب" لكي تكون على
بينه من حقيقة الكتب التي يدعي اصحابها بفوائدها والحال انها تضليل وتغريز بالعقول فلا
نشرها على غرة وتعب ذاكرتنا في مطالعتها ونضيع اوقاتنا على غير جدوى

ناشد فريد

[المقتطف] اننا باذلون جهدنا في انتقاد كل كتاب يُعرض علينا للانتقاد اذا وجدناه
يستحق الانتقاد وعلما ان صاحبه يرضى بحكمنا ولا يفتح علينا جدالاً طويلاً عريضاً يضع به
الوقت سدى . ومع ذلك يفوتنا انتقاد بعض الكتب امّا لاننا نجد موضوعها خارجاً بالكليّة
عن موضوع المقتطف او لأن كثرة الاشغال تمنعنا عن النظر فيها بالامعان . اما الكتب
المدرسية التي تشيرون اليها فلم تعرض علينا لانتقادها والراسخ في ذهننا انها تختار بقرار لجنة
من العلماء الراسخين في العلم ومع ذلك وقع نظرنا عرضاً على كتابين منها فلم نستحسنهما وقد اشرنا
اليهما في الكلام على الخواطر العراب . ويحتمل اننا ننظر في هذه الكتب مرة ونشير الى
ما فيها من العيوب لا من حيث الخطا اللغوي الذي يفتش عنه البعض بل من حيث فصولها
عن الغاية الموضوعية هي لها

تأليف الأستاذ الدكتور

المعرض الزراعي

نظرة عامة

فتح المعرض الزراعي بعد ظهر العاشر من فبراير وهو يمتاز على المعارض التي سبقتها من أوجه ويخطط عنها من أخرى اخصها خلوه من البقر والجاموس نظراً الى تفشي الطاعون البقري ومن بعض المصنوعات الالهلية كمصنوعات مصلحة السمجون ومصنوعات معمل الخرف ونحوها اما امتيازها فكان بسعة معارضه وحسن ترتيب معروضاته وتعدد اصنافها وانواعها واجناسها وزيادة اثنان المعرض منها

فالحاصلات الزراعية فاق المعرض منها المعتاد حيث بلغت الف صنف من الحبوب ولم تبلغ غير ٤٠٠ صنف منها في السنة الماضية فالتقدم من هذا القبيل عظيم جداً وكذلك معروضات القطن فانها من خيرة ما رأيناه في المعارض السابقة حتى الآن وقد جمعت اصناف القطن الاربعة الجديدة التي تفوق في الجودة سائر الاصناف المعهودة وهي النوباري والكركي والعباسي المحسن واليانوفتش براون فنوجه انظار المزارعين اليها عساها ان يجيدوا اقطانهم بنقاوهم وامتاز هذا المعرض ايضاً بما عرض فيه من المحارث التي استوفت الابصار فخص منها محراثين بخاريين ومحراثاً فرنسويّاً اما المحراثان البخاريان فاحدهما كبير ثقيل يثير التربة وينعمها ويؤلف فيه الفحم والخطب والاخر صغير خفيف وهو عبارة عن سكك (اسلحة) تعلق باوتوموبيل يسير بالبنزين وقد جرب هذان المحراثان فحرثا الارض بمراًى من الناظرين واعجب حريتهما جمهور المزارعين الا انهم لم يقنعوا بكونهما يصلحان لحرث التربة المصرية على اختلاف انواعها واحوالها لان التربة التي كانا يحراثان فيها رملية صفراء جافة غير شديدة التماسك . فيخشى ان الكبير الثقيل يغرز في التربة اذا كانت رطبة كما جرى فعلاً في اطيان حضرة الوجهية الخواجا الطون صباغ من كبار مزارعي الدقهلية . وانه يكسح التربة كسحاً اذا كانت رملية ناعمة كما يقال انه فعل في اطيان بمديرية المنيا . ويخشى ان المحراث الصغير الخفيف يعجز عن شق التربة الشديدة التماسك . فلذلك كان رأي جمهور المزارعين انه لا بد من تجربتهما اياماً اخرى في اطيان متعددة في تربات مختلفة قبل ان يحكم بصلاحيتهما لحرث الاطيان المصرية

واما المحرات الفرنسي فيحترث به على البقر وقد جرب في ارض المعرض فمدحه الناظرون ولا سيما الانكليز منهم لما رأوا سهولة ادارته من ثلم الى ثلم وسهولة تعميق الحرث به حسب الاختيار

وخلو المعرض من البقر زادت الخيل المعروضة فيه عن المعتاد من خيل للشغل وخيل للزراعة وخيل للنتاج وكذلك الخرفان والشيء والكباش وفاق المعرض ايضاً في كثرة ما عرض فيه من الآلات والعدد البخارية والميكانيكية والزراعية وآلات الري والسكك الحديدية والزراعية ومن اخص ما بانت عليه دلائل التقدم والاثقان من الصنائع المحلية صناعة السميت فان المعرض منها يحكي في الجودة والاثقان احسن ما يؤتى به من الخارج . وصناعة الخيام قد سر الناس بروية الخيمة الوطنية ومعرضاتها المصورة بصور المصريين القدماء والمزينة بالكتابات والنقوش

هذا ولا خلاف في ان الاقبال على هذا المعرض يزداد عاماً فعاماً وان الاهالي ادرى نفعه وجعلت تكتسب الفوائد منه والفضل في ذلك للجنة الزراعية الخديوية عموماً ولخضراء المستر كاري والمسترفودن سكرتير الجمعية ومعاونيه من ابناء الوطن خصوصاً

الجمعية الزراعية

وفي اليوم التالي اجتمعت الجمعية الزراعية الخديوية اجتماعها السنوي في دار المعرض الزراعي برئاسة دولتو رياض باشا وحضر الاجتماع نحو مئة وخمسين عضواً من حضرات المحافظين والمديرين وكبار الوجهاء والعمد فاستهل دولتو رياض باشا الكلام على فائدة الجمعية الزراعية وما فعلته في غضون السنة الماضية من تقديم نقاوي القطن الجيد المنتقى بثمن بخس فلم يزد ثمن الارديب واصلاً الى المزاعين على ٨٢ غرشاً مع انه هو يشتريه من زراعته بجنيه انكليزي ومن تقديم السماد الكيماوي الذي يزيد به محصول الارض كثيراً . وذكر بعض الامثلة على ذلك وقال ان الاراضي التي يضاف اليها السماد الكافي سواء كان سباحاً بلدياً او سماداً كبرياً يزيد محصول الفدان منها من ثلاثة ارادب غلة مثلاً الى خمسة ومن خمسة قناطير قطن الى ثمانية

ثم ذكر خلاصة حساب السنة الماضية وطلب المصادقة عليها . فصادق الاعضاء لكنه قال ان نحو اربع مئة من الاعضاء لم يدفعوا قيم الاشتراك ولا مهم على ذلك لانه يدل على قلة غيرتهم فاعترض بعض الحضور قائلاً ان تأخر الاعضاء عن الدفع قد لا يكون له سبب الا الاهال

او عدم السهولة في ارسال المطلوب حينما يطلب لاسيا وان العادة الجارية في البلاد لدفع الاموال الاميرية واشتركاكات الجرائد هو ارسال المحصلين وتحصيل المطلوب بواسطةهم واكد اصحاب السعادة شواربي باشا ومصطفى باشا البغدادلي ومحمود باشا ابي حسين وابراهيم باشا سعيد وعبد الرزاق باشا ان تأخر البعض عن الدفع اهمال منهم لا غير وطلب سعادة محب بك مدير اليوم ان ترسل الجمعية محصلين يحصلون مطلوبها بمساعدة اللجان المركزية ويساعدون اللجان في الارشادات الزراعية ووافقه سعادة عدلي باشا يكن محافظ العاصمة على ذلك ولكنه طلب فصل امر التحصيل عن امر الارشاد ولو نيظ العمال بنديوين يرسلان الى الوجه البحري والقبلي لمساعدة اللجان في الارشادات الزراعية والاهتمام بتحصيل قيم الاشتراكات فافترت الجمعية على ذلك بعد ان ذكر الرئيس اسما كبار المديريات واحداً واحداً وقال انهم يجب ان يتبعوا بارشاد اهالي مديرياتهم وحظهم على دفع حقوق الجمعية مقدماً لهم مثال المسترجسن والمستركاري الذين يخدمان الجمعية بكل جهدهما وليس لهما راتب منها ولا شبر ارض في البلاد ثم تكلم عن طاعون المواشي وشدة وطأته على البلاد وما فعلته اللجنة المركزية مع الحكومة وما اقرت عليه لما اجتمعت مع مندوبي الحكومة وهم مستشار الداخلية ومدير الصحة والمتش البيطري العام . ومدار قرارها على ان تهتم الحكومة بتسهيل جلب المواشي والدواب من البلدان التي انتشر فيها مرض المواشي زماناً طويلاً ثم زال منها حتى صارت الحيوانات الباقية فيها بئامن منه واعفائها من رسم الجمرك ومن نصف اجرة النقل في سكة الحديد ووضع الآتي منها بجرأ في الكورنتيننا عشرة ايام والآتي منها من السودان في الكورنتيننا في حلقا ٤٨ ساعة . ونعهدت اللجنة ان تشتري ما يجلب من السودان اذا لم يشتريه احد وان تضع سكة الحديد مركبة لنقل اللحم نهراً كالمركبة التي ينقل بها ليلاً

وقال دولة الرئيس انه كان الاولى بالحكومة ان تشتري هي المواشي من الخارج وتعرضها في مراكز القطر لكي يشتريها المزارعون وتنسأهل مع فقراءهم فتأخذ منهم ثمنها نقسيطاً لان افة الوباء شديدة جداً ولا يجوز التغاضي عنها وانتظار ما يفعله تجار المواشي . وذكر ان البعض ماتت مواشيهم كلها وهم يحاولون الان حرث ارضهم بالفاس او بواسطة الخيل والبغال . وارنا ايضاً ان تعود الجمعية فطلب من الحكومة منع ذبح العجول مراعاة لمقتضى الحال وقال ان كل ما يعترض به على هذا الطلب ضعيف في جنب مصلحة البلاد العمومية والحكومة حق ان تمنع ذبح العجول كما لها حق ان تقفل اسواق المواشي وان تضع الكورنتيننا عليها او تمنع دخولها مطلقاً اذا انتشر فيها مرض . فوافقه اعضاء الجمعية على ان يطلبوا من الحكومة ان تبتاع هي

المواشي من البلاد الاجنبية ومن السودان وتبيعها للمزارعين وان تمنع ذبح العجول مطلقاً وختم
الاجتماع قبل الظهر بنصف ساعة

جوائز المعرض

الحبوب وغيرها

نال الجائزة الاولى عن القمح الاسمر البحيري البرنس عمر باشا طوسون والجائزة الثانية
مصطفى شعث

ونال الجائزة الاولى عن القمح الاسمر الصعيدي الخواجه رزق الله مشرقي والجائزة الثانية
محمد افندي محفوظ والثالثة عمر بك سلطان

ونال الجائزة الاولى عن القمح الابيض البلدي دائرة البرنسات امينة ونعمة هانم وعلي
اسماعيل ودولتو رياض باشا ومحمد ابوزيد طنطاوي وعمر بك سلطان . ونال الجائزة الثانية
محمد بك والي الجندي وابوزيد بك طنطاوي وحسن باشا عبد الرازق ومحمد بك دقن وسعد
مسعود وعبد العال بك اسماعيل وابو سيف بك راخي وجرحس بك يعقوب ودائرة البرنسات
امينة ونعمة هانم وسليم بك عكاشه ونال الجائزة الثالثة عبدالله بك مجاور وعمر افندي محمد
ومرقص بك حنا

ونال الجائزة الاولى عن القمح الابيض الاجنبي المزروع بمصر دائرة البرنسات امينة ونعمة
هانم والبرنس عمر باشا طوسون والجائزة الثانية رياض باشا
ونال الجائزة الاولى عن الشعير دائرة البرنسات امينة ونعمة هانم وخليفه بك رمضان
والشيخ جبر العشري ودولتو رياض باشا والجائزة الثانية محمد قنديل وعلي محمود وابوزيد بك
طنطاوي ومصطفى بك خليل وعبد العال بك مجاور

ونال الجائزة الاولى عن الفول البحيري دائرة البرنسات امينة ونعمة هانم . والجائزة الثانية
الدائرة نفسها والجائزة الثالثة الخواجه جورج عيد وبوغوص باشا نوبار
ونال الجائزة الاولى عن الفول الصعيدي قطب بك قرشي وعمر بك سلطان . والجائزة الثانية
ابوزيد بك طنطاوي ومحرم بك محمد وعبد القادر حسنين والجائزة الثالثة محمد طرشان وعمر
افندي محمد ومتى افندي حنا الضعيف

ونال الجائزة الاولى عن الذرة الشامية دائرة البرنسات امينة ونعمة هانم والجائزة الثانية
الدائرة نفسها ودولتو رياض باشا والجائزة الثالثة عمر بك محمد وزيدان العبد
ونال الجائزة الاولى عن الذرة الاجنبية مصطفى بك خليل والثانية ابوزيد بك طنطاوي

ونال الجائزة الاولى عن الذرة البلدية الرفيعة ابو زيد بك طنطاوي وتهامي عبد الرحمن
والثانية محمد ابو زيد طنطاوي واسماعيل مقبل

ونال الجائزة الثانية عن العدس البحيري محمد السيد وعلي السيد

ونال الجائزة الاولى عن العدس الصعيدي عمر بك سلطان والجائزة الثانية سعيد
بك عبد السميع

ونال الجائزة الاولى عن الفول السوداني مصطفى بك خليل والثانية قاسم بك مراد

ونال الجائزة الثانية عن الارز السلطاني دائرة البرنسبات امينة ونعمة هانم

ونال الجائزة الاولى عن الارز السبعيني عبد الباقي عبد الله والجائزة الثانية ابو زيد بك الطنطاوي

ونال الجائزة الثانية عن صنف الارز عبد الوهاب داود

ونال الجائزة الاولى عن بزر الكتان احمد بك عثمان الهلالي والجائزة الثانية محمد الطحاوي

وسيف النصر بك طنطاوي

ونال الجائزة الاولى عن السمسم الابيض قاسم بك مراد والجائزة الاولى عن السمسم الاحمر

البرنس عمر باشا طوسون والثانية قاسم بك مراد

ونال الجائزة الاولى عن الحلبة ابو زيد بك طنطاوي والثانية مصطفى افندي بهجت

ونال الجائزة الاولى عن البرسيم البعلي علي سليمان الشواربي والجائزة الثانية دائرة البرنسبات

امينة ونعمة هانم وبوغوص باشا نوبار

ونال الجائزة الاولى من البرسيم المسقاوي مصطفى احمد عبيد والجائزة الثانية خليفة بك رمضان

ونال الجائزة الاولى عن البرسيم الخضراوي دائرة البرنسبات امينة ونعمة هانم . والجائزة الاولى

عن البرسيم الحجازي بوغوص باشا نوبار والثانية دائرة البرنسبات امينة ونعمة هانم . ونال

الجائزة الثانية عن الجلبان منقريوس افندي رزق والجائزة الثانية عن البسلة حسين محمد يوسف

والثانية عن القرطم مصطفى افندي بهجت والثانية عن الحمص حسن الشناوي ومحمد السيد

الكبير والثانية عن الجراوى الشيخ حمدان عثمان والثانية عن الترمس حسن الشناوي والثانية عن

اللوبيا رزق باشا . ونال الجائزة الثانية عن مجموعة نباتات من العلف محمد عيسى وعن مجموعة

الزيوت ابراهيم ابو شناق

ونال الجائزة الاولى من البطاطس محمد السيد الكبير والثانية ييولي بك ونال الجائزة الاولى

عن البطاطس المزروع برسم التصدير الى الخارج ييولي بك والثانية علي السيد

ونال الجائزة الاولى عن البصل محمد عيسى والثانية ابراهيم حنفي والثالثة حنفي محمد جلال

ونال الجائزة الاولى عن الطاطم محمد السيد الكبير والثانية على السيد

ونال الجائزة الثانية عن عسل النحل مدرسة الزراعة

ونال الجائزة الثانية عن مجموعة من البلج محمد السيد الكبير وحسن الشناوي ونسيم برسوم
ومصطفى شندي وعبد الحميد صدقي

ونال الجائزة الاولى عن مجموعة من خشب الاشجار النامية بالقطر المصري جرجس يطار

والثانية نسيم برسوم

ونال الجائزة الاولى عن قصب السكر الاحمر الشيخ مصطفى خليل والثانية شركة السكر

ونال الجائزة الاولى عن قصب السكر الالبيض شركة السكر والثانية عمر بك سلطان

ونال الجائزة الاولى عن القصب البلدي الشيخ مصطفى خليل والثانية عمر بك سلطان

ونال الجائزة الاولى عن القصب الروباني شركة السكر والثانية عمر بك سلطان

ونال الجائزة الاولى من الزبدة مدرسة الزراعة والجائزة الاولى عن السم من جبران جريس ومحمد

صبيحي والجائزة الاولى عن الكريما محمد صبيحي ومدرسة الزراعة والجائزة الاولى عن الجبن المستخرج

من الكريما مدرسة الزراعة

والجائزة الاولى عن الجبن البلدي محمد صبيحي والثانية مدرسة الزراعة

ونال الجائزة الاولى عن الحرير امام بك اسمعيل والجائزة الاولى الممتازة عن الحصر محمد عمر

الحصري متعهد الحضرة الخديوية ومحمد البدريسي والثانية محمد فهمي عمر والجائزة الاولى عن

الخليم علي السيد

ونال الجائزة الاولى عن السكر الغير المكرر عمر بك سلطان وعن السكر المكرر عمر بك

سلطان . ونال الجائزة الثانية عن العسل الاسود عمر بك سلطان . والجائزة الاولى عن شمع

العسل الشيخ مصطفى خليل . والجائزة الاولى عن حشيشة الدينار مدرسة الزراعة

الاقطان

القطن الميت عفيف

نال الجائزة الاولى الدائرة الخاصة ومدام اوغبان باشا ومصطفى بك خليل ودولة البرنس

ابراهيم حلمي وصالح بك نامق ونال الجائزة الثانية عبد الحميد باشا صادق وعدلي باشا يكن وعبد

السيد قنديل ودائرة البرنس حميدة هانم وسالم بك مشهور ومصطفى باشا صدقي ودائرة

البرنسات امينة ونعمه هانم والمسيو نوفيل ومحمد بك ابو نافع ونال الجائزة الثالثة عيسوي بك

سعيد ومحمد بك ابو جازية وحسن بك يوسف ومحمود باشا ابو حسين واحمد بك كامل

القطن الاشمتوني

نال الجائزة الاولى ابو زيد بك الطنطاوي وعمر بك سلطان ومحمد بك راسم والدائرة الخاصة والجائزة الثانية دائرة البرنس حسين باشا واحمد باشا راشد

القطن العباسي

نال الجائزة الاولى احمد باشا راشد ودائرة القصر العالي والجائزة الثانية دائرة البرنس ابراهيم ومحمد زكي باشا ودائرة القصر العالي ودائرة البرنس حسين باشا ودائرة فاطمه هانم ودولة البرنس

عزیز حسن

القطن اليانوفتشي

نال الجائزة الاولى الخواجه قسطنطينيدس وعبد الفتاح يحيي ومحمد بك مصطفى وعبد الرحمن شادلي والمسيو اندريكوهي ومحمد بك شناوي والجائزة الثانية رالي بترينو ومحمد بك بدر اوي وعلي برباري وزبيده هانم ومحمد بك شادلي ومحمد بك شاكر ومصطفى بك خليل وسالم بك مشهور وزكي افندي جريس

الاقطان الجديدة

نال جائزة اولى خصوصية المسيو فولتس عن صنفين من القطن الجديد وكذلك سعادة بغوص باشا نوبار

الحيوانات

نال الجائزة الاولى عن الاغنام عمر بك سلطان ومدرسة الزراعة وخليفة بك رمضان وابراهيم بك الهلباوي ومحمد بك دري ومحمد بك الشناوي ونال الجائزة الثانية ابو زيد بك طنطاوي وعمر بك سلطان وبدر بدر وابراهيم بك الهلباوي وخليفة بك رمضان ورزق احمد ونال الجائزة الاولى والثانية عن الجمال عمر بك سلطان

ونال المستر كيرمدالية برونز خصوصية عن الهجين

ونال الجائزة الاولى عن الخيول سليمان بك احمد اباضه واحمد بك البريدي والجائزة الثانية محمد بك علي شعير ونال مدالية برونز كل من الشيخ امين عارف ودرويش الجندي ونال الجائزة الاولى عن الحمير والبغال حبيب افندي علي وحسن بك زايد والثانية المسيو جورج عيد وشركة اراضي ابي قير وسليمان بك احمد اباضه وعمر بك سلطان والحاج محمد عمدة شندوبل

ونالت المدالية الذهبية شركة السكر وقد اشتهرت معروضاتها في هذه السنة بنقاوة الوانها

وجمال منظرها ومما عرضته كثير من اصناف السكر الايض المستخرج من القصب المصري وكيفية استخراج السكر النبات وصبة . ونالت المدالية الذهبية ايضاً شركة الاسمنت المساهمة المصرية ونال الجائزة الاولى الحاجة قلاده انطون عن آلات زراعية ووابورات ومطاحن وسواني وغيرها ومحل حسبو محمد وشركاه في الاسكندرية وقد عرض هذا المحل كثيراً من العدد والآلات الزراعية ومنها المحراث المشهور بمحراث درابي البخاري وهو اختراع حديث العهد كبير الحجم والفائدة

ونال المدالية البرونز محل الفريد دلمار عن اصناف الكاوتشوك ونال الجائزة الاولى محل جواني ماركو عن حمامات ومرشحات ومطابخ وآلة جديدة اخترعها لتسخين المياه بسرعة فائقة بواسطة السبريتو او النخم ونال الجائزة الاولى محل عزيز مايستر عن واپورات وطواحين وغيرها مما يحتاج اليه للشؤون الزراعية كالخرطوم المعروف بالخرطوم المصري وهو اختراع جديد متين جداً لصاحب امتيازوه اصطفان افندي شعيا

ونال الجائزة الاولى محل توماس كوك واولاده ومحل المهندس جويد وماروني

تجربة المحراثين البخاريين

مضى اعضاء الجمعية الزراعية في ٢٢ فبراير الى ابعدي بوغوص باشا نوبار في شبراخيت شاهدوا تجربة المحراثين البخاريين الذين عرضا في المعرض الزراعي وكانوا جمعاً غفيراً يتقدمهم دولتور ياض باشا واصحاب السعادة فخري باشا وبوغوص باشا نوبار ويعقوب باشا ارئين وشواري باشا وانيس باشا وكثيرون غيرهم من ارباب الزراعة . وسار المحراثان في ارض كانت مزروعة برسيماً لاهي بالثقيلة ولا هي بالخفيفة لكنها رطبة نوعاً ويظهر انها مثل متوسط الاطيان المصرية . واستمرت التجربة نحو ساعتين وكان بوغوص باشا نوبار وشواري باشا وانيس باشا من المحكمين فحكموا ان المحراث الكبير المعروف بمحراث درابي يحرق ستة افدنة في النهار الواحد اذا عمل عشر ساعات متوالية فاعطي المدالية الذهبية . وان المحراث الصغير الذي عرضه الميسو هلمر يحرق فدانين وثلاثة ارباع الفدان في النهار واعطي المدالية الذهبية ايضاً والمحراث الكبير يثير الارض اثاراً الى عمق عشرين سنتماً او خمسة وعشرين وبشما ولكنه لا يقلبها وله شوكت تدور على محاورها وبها يثير الارض على اسلوب بديع ولكن لا بد من دخول التراب والرمل بين هذه الشوكات ومحاورها فيسرعان تلفها . ويقول بعض ارباب

الزراعة ان الحرث بهذا المحراث كافٍ لزرع الغلّة ولكنه غير كافٍ لزرع القطن ويقول غيرهم انه كافٍ للثنتين . ويقال انه يحرق ثلاثة قناطير من الفحم في حرث الفدان الواحد والمحراث الصغير يشق الارض شقاً ويقلبها كالمحراث البلدي ويقال انه يحرق ثمانية لترات من البنزين في الساعة فقد يكون ثمن البنزين مانعاً من استعماله لاسيما وان البنزين سهل الالتهاب فاذا امكن ابداله بزيوت البترول فلا يبعد ان يشيع استعمال هذا المحراث

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيوكل ما هم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

تمرّض المرضى

فتح القصة

قد يصاب الحلق بداء السرطان فيمنع التنفس ويعرّض المصاب لموت اختناقاً . ولدفع خطر الموت العاجل يشق الجراح قصبة الرئة تحت المكان المصاب فيسهل التنفس ويطال في اجل المصاب ويسهل الموت ايضاً اذا كان محتوماً الا ان هذه العملية لا يرجى معها الشفاء كما يرجى في حوادث الدفتيريا

وطريقة العملية ان يدخل الطبيب من حلق المصاب انبوبتين معقوفتين الواحدة داخل الاخرى ويعلم المصاب او الممرضة كيفية نزع الانبوبة الوسطى وغسلها . وتغسل هذه الانبوبة كل بضع ساعات بالصابون والصودا . واذا حدث بعد ذلك ضيق في التنفس او صوت كالصفير عند التنفس فهي ادلة على ان الانبوبة مسدودة . ويغذى المصاب بالاطعمة السائلة والليونة

عمليات البتر في الصدر

اخفاف الاطباء في كيفية المعالجة بعد اجراء العمليات فمنهم من يستعمل الجبس والرباطات العادية في الغيارات ومنهم من يفضل الرباط الواحد العريض ويضع الذراع على الصدر ويربطها معه . ومنهم من يسند المصاب بالوسائد خوفاً من حدوث النزف وآخرون يلقون المصاب مستلقياً على ظهره . واذا اشار الجراح بطريقة من هذه الطرق فعلى الممرضة ان

تعمل بمشورته وتثق به ثقة تامة . واذا لم يفضل طريقة على غيرها فيتبع في ذلك ميل المصاب
وارادته وقد يشعر المريض براحة عظيمة اذا وضعت وسادة تحت ذراعه على الجانب الذي
اجريت العملية فيه

بتر الذراع والساق

يُرفع اصل العضو المبتور قليلاً ويسند على وسادة حذراً من حدوث النزف . وهذه
العمليات خطيرة جداً اذ بها تُقطع شريانات كبيرة فيستدعي ذلك اشد المراقبة . ويُجرى
اصل العضو المبتور من الثياب في الايام الاول . فاذا حدث نزف ترى في بادى الامر بقعة
حمراء على الرباط فان لم تزد مساحة سطحها على مساحة سطح الفرنك مثلاً فلا سبب للخوف
والحذر . واما اذا رايت الدائرة تنسع فامسح وارسل من يدعو الطبيب واما انت فضع قطعة
كبيرة من القطن المندوف فوق مكان البتر واربطها ربطاً وثيقاً . واذا كانت العملية في الساق
وكنت حاذقاً ودقيق الشعور في الممس فتجد الشريان الكبير في وسط اربية الفخذ واذا لمسته
تراه ينبض ويضطرب . فضع يدك تحت الورك واضغط بابهامك على الشريان وعلى العظم الى
ان يصل الجراح . واذا كانت العملية في الذراع فارفعها واربطها ربطاً وثيقاً وهذا اسهل من
ان تفش عن الشريانات تحت الترقوة او بين العضلات
وهذه العمليات مؤلمة جداً اذ بها تنقطع بعض الاعصاب . ومن غرائب الامور ان
المصاب بعد ان تُبتر ذراعه او رجله او ساقه كثيراً ما يشكو الالم في الطرف المبتور كأن ذلك
العضو لم يزل في مكانه حياً

عمليات البطن

كان الاطباء في السنين السالفة اذا اتاهم مريض مصاب بداء في بطنه عجزوا عن تشخيص
مرضه تشخيصاً تاماً وان استطاعوا تشخيصه ومعرفة الداء فلم يكن ينجم فيه دواء لانهم لم يكونوا
حينئذ يتجاسرون على فتح البطن والتوصل الى مركز الداء فيقضى على المصاب ان يموت . على ان
فن الجراحة قد تقدم تقدماً عظيماً في هذه السنين الاخيرة حتى اذا تعذر على الاطباء تشخيص
مرض باطني وكان المصاب في خطر الموت شقوا المكان الذي منه يشكو الالم وشاهدوا بعينهم
اصل الداء فيسهل عليهم وصف الدواء . وقد خلّصت الجراحة الباطنية كثيرين من مغالب
الموت العاجل واعادت اليهم الصحة التامة . ويدخل تحتها عمليات المعدة والكبد والكليتين
والامعاء والزائدة الدودية والمثانة وغيرها من الاعضاء والناميات الغريبة . فيتبين من ذلك ان
الطبيب وان استطاع تشخيص المرض الباطني تشخيصاً تاماً حقيقياً يتعذر عليه نفع المريض ما

لم يشق بطنه ويصل الى اصل الداء والشكوى . فقد تدخل بزررة ثمرة الى الزائدة الدودية
 فتسبب التهاباً وصديداً وينتهي الامر بالموت الزؤام . وقد تخفف الامعاء عن مكانها الطبيعي
 او ينمو هناك شيء غريب او يتكون الصديد في عضو داخلي وكل هذه تسبب آلاماً مبرحة
 وقد يعقبها الموت الباكر ولا تجدي الاطباء وادويتهم نفعا . ففي مثل هذه الاحوال يتقدم
 الجراح ويخترك بين الموت العاجل مصحوباً بالاوجاع والآلام وبين عملية جراحية يصحبها امل
 الشفاء التام . وليس في طاقة الجراح ان يعدك بالشفاء حتماً لان المرض الباطني قد يكون
 مرض السرطان او السل الرئوي في درجة متقدمة او غير ذلك مما لا سلطة للجراح عليه .
 ولكن اذا استثنينا هذه فامل الشفاء بعد اجراء العملية كنسبة عشرة الى واحد اي ان من كل
 عشرة تجرى فيهم العمليات الجراحية يشفي تسعة ويموت واحد فقط . واما اذا اجل المصاب
 اجراء العملية او رفض اجراءها بتاتا فامل الشفاء كنسبة واحد الى عشرة ولا سيما اذا كان
 الداء التهاب الزائدة او اخنثاق المعى او سرطاناً في المعدة

لنفرض ان المصاب قبل بان يعمل الجراح له 'عملية' وانك اعددت غرفة العملية كما اعدتها
 تلك الممرضة التي وصفتها لك سابقاً وان العملية قد تمت وألقي المريض على سريريه وبين رجله
 زجاجات الماء السخن . فعليه ان يستلقي على قفاه وتوضع وسادة تحت ركبتيه وهذا ضروري
 جداً لانه اذا ارتفعت الركبتان ارتخت عضلات البطن فانبسط وصار عديم الحركة . والانتقطاع
 عن الحركة ضروري جداً في مثل هذه الاحوال . وعلى الطبيب او الممرضة الخبيرة ان تستخرج
 البول من المرأة مرة كل ثماني ساعات على الاقل . وعلى الممرضة او من يقوم مقامها ان يستعمل
 واسطة يتمكن بها من رفع ثقل اغطية الفراش عن بطن المريض . وتوصلاً الى هذه الغاية
 تستعمل المستشفيات اسرة فيها أطر الحديد فاذا لم يمكن اقتناء سرير مثلها فيستعاض عنه بوضع
 الوسائد على جانبي المريض بشرط ان يكون علوها كافياً لحمل ثقل الاغطية ورفعها عن الجرح
 وبقى بعد العملية الجراحية البطنية خطران عظيمان احدهما الانحطاط الكلي المسبب عن
 الصدمة والثاني الانحطاط المسبب عن نزف داخلي . وقد قلنا سابقاً ان اعراض النزف الداخلي
 هي اصفرار الوجه وايضاض اليدين والاذن والاشفاظ والشفقتين والانف والاذنين . والقلق والحركة الدائمة
 فيرمي المصاب بذراعيه الى هنا وهناك ويتقلب على فراشه بدون انقطاع . والاعياء والنهيد العميق
 بدلاً من التنفس الطبيعي . فاذا ظهرت لك هذه الاعراض فانفتح النوافذ ليتجدد الهواء في الغرفة
 واكثر من زجاجات الماء الحار في الفراش وافعل كل ذلك بهدوء وانتظام . وكثيراً ما يسوء
 خلق المريض او يتعلق بشخص وينفر من كل احد سواه فلا يقبل ان يمرضه ويعتني به غيره .

والغالب ان ذوي المريض يشفقون عليه ويجرون طوع امره ولو عاد عليه ذلك بالضرر على ان هذا الانقياد الاعمى من اهل المريض وذويه مخالف للحكمة والصواب ويعود عليه وعليهم وبالألّا فان الساهر على المريض يحتاج من الطعام والنوم والراحة والهواء النقي قدراً كافياً والّا ما استطاع ان يقوم بواجباته حق القيام . فعليك ان تتخذ التدابير من اول الامر ليكون السهر على مريضك بالتناوب . فيجلس غيرك بجانب سريره لينظر الى حاجاته بينما تأخذ حاجتك من الراحة والطعام والنوم ثم تجلس بجانب سريره بينما يأخذ غيرك حاجته من الراحة والطعام والنوم . وافعل ذلك مهما شقّ الامر عليك وعلى مريضك واذكر انه يؤول الى فائده وفي اليوم الاول قد يكون الخطر على حياة المصاب عظيماً ويتهدده الموت في كل ساعة وفي اليوم الثاني يخف الخطر ويقوى الامل فاذا مضى عليه اليوم الاول والثاني اصبح شفاؤه مرجحاً الا اذا فرط من المريض او الممرضة او من يقوم مقامها سوء في التصرف وحماقة في التدبير . وقد يكون الجراح افلح في اجراء العملية على غاية ما يرام فيتلف المريض او من يرضه عمله بسوء تصرفهما . وقد علمت ان زمن الخطر الشديد لا يزيد على اليومين الاولين وعليهما تتوقف حياة المريض او موته . فيجب اذ ذاك اشد الحذر ومراقبة المريض مراقبة تامة وعدم الاغضاء عنه لحظة واحدة . ولا يمكن للشخص الواحد ان يقوم بهذا الواجب بدون مساعدة فيجب ان يكون السهر والمراقبة بالتناوب

اما التغذية فقد اختلف الجراحون فيها فمنهم من يمنع الطعام والشراب عن المريض مدة ٢٤ ساعة فلا يبرد غليله بنقطة من الماء . ومنهم من يعطيه الغذاء بعد العملية باثني عشر ساعة اذا لم تجش نفسه للتقيؤ . فيبتدئ باعطائه ملعقتين كبيرتين من اللبن والماء او اللبن والشاي كل ساعة . ثم اربع ملاعق كبيرة كل ساعة ثم ثمانى ملاعق كل ساعتين ثم اثني عشرة كل ثلاث ساعات وهكذا بزيادة كمية الغذاء وتطويل المدة بين تناول الغذاء الواحد والاخر . واذا مضى على ذلك ثلاثة ايام وانطلقت امعاء المصاب فاعطيه من الاطعمة اللينة اللبنة بحسب ما يُشير الجراح عليك . واذا جاشت نفسه واراد التقيؤ فضع يدك على بطنه فوق الجرح واذا اردت قلبه من جانب الى آخر فاقبله دائماً الى جانب الجرح لكي لا يقع شد على الجرح والقطب . ومن الجراحين من يستعمل القطن المندوف والرباط لمثل هذه العمليات ومنهم من يضع فوق الجرح المخاط عدة طبقات من الشاش الناعم ويلصقها على الجسم بالكولوديون . ويضع الرباط العادي من الفلانلا او البفت الناعم المتين ويكون طوله نحو ذراع وربع وعرضه نصف ذلك . ويمكنك في اليوم الثالث ان تغير ثياب المريض بكل اعتناء او تضع وسادة ناعمة

تحت رأسه ولكن لا يُرفع رأسه أكثر من ذلك وتغير اغطية الفرش وتصلح تحته كل صباح ومساءً وتنفض الوسادة وتعاد الى تحت ركبتيه فيشعر براحة والاً فإنه يبقى في تعب دائم وحركة غير منقطعة. واغسل يديه ووجهه كل صباح ومساءً واتخذ كل الوسائل والتحفظات لمنع قروح الفراش
البواسير والنواسير

هذه الحوادث مؤلمة جداً ويلزم شفاؤها من اربعة اسابيع الى ستة على الغالب ويحقن المكان بعد العملية بالمورفين لتسكين الالم . تسريب الامساك . ويعطى المصاب شيئاً قليلاً جداً من الغذاء في الاربعة او الخمسة الايام الاولى الى ان تتحرك الامعاء وتنطلق لكي لا يعاق شفاء الجرح . والخروج الاول يكون مؤلماً جداً حتى ينغمى على كثيرين من المصابين بعد حدوثه فليكن ان تكون معهم في الغرفة هذه المرة . ويضع الطبيب الغيار في المرة الاولى وعليك ان تعني بالمريض بعد ذلك وتغسل الجرح كل مرة بعد الخروج بالخرق اللينة والقطن المنذوف والصابون والماء الفاتر . ثم اغسله بمحلول فيه مادة مضادة للفساد ويفضل محلول كلوريد الزئبق على محلول الحامض الكربوليك لان محلول الزئبق لا يحدث تهيجاً كمحلول الحامض الكربوليك والمستقيم شديد الحس جداً

بالتقريظ والانتقاد

ديوان التعاويذي

اذا طبعنا نحن الشريطين كتاباً من كتب المتقدمين فالغالب انه يخرج من يدنا كثير الغلط خالياً من الفصول والفهارس وان الحقنا به فهرساً صغناه على اسلوب لا يهتدى به الى شيء فيه. هذا وفيات الاعيان لابن خلكان قلما يستطيع الطالب ان يهتدي الى موضع علم من الاعلام التي يطلبها فيه لان فهرسه مرتب حسب اسماء الاعيان لا حسب الالقاب التي اشتهروا بها ولذلك جاء في حرف الميم اسم ابن الاثير والامام الشافعي والامام البخاري وابن سيرين والغزالي والرازي والواقدي وابن زهر والتعاويذي وابن مقلة والبتاني والزخشي وغيرهم من المشاهير الذين قلما يحظر على البال ان تطلب اسماءهم في حرف الميم وقس عليه غيره من الكتب اما علماء الافرنج الذين عنوا بطبع الكتب العربية فقد بذلوا الجهد في تصحيحها واحقوها

بالفهارس المختلفة ليسهل بها الاستدلال على ما فيها ومن ذلك هذا الديوان وقد عني بنسخه وتصحيحه العالم الناضل الدكتور مرجليوث استاذ العربية في مدرسة اكسفر الجامعة وطبعه في مطبعة المقتطف بالشكل الكامل والحق به فهرسين كبيرين ذكر في الاول منهما اسماء الممدوحين والمهجوين وغيرهم ممن جرى ذكره في هذا الديوان ونوع الشعر الذي قيل فيه بين ان يكون مدحاً او هجاء او ثناء . وفي الفهرس الثاني المعاني الواردة في الديوان كالإياد واستقراض الكتب واعادة الدعوة العباسية والتشيع والحمام والخنان والريع والسكر والشبية والشيب وهلم جرا . وقدم له جدولاً ذكر فيه كثيراً من كتب الادب والتواريخ التي وردت فيها ايات من اشعار التعاويذي و اشار الى القصائد التي اخذت تلك الايات منها والى اماكن طبع تلك الكتب والصفحات التي وردت الايات فيها

والتعاويذي شاعر مشهور وهو ابو الفتح محمد بن عبد الله المعروف بسيط ابن التعاويذي المتوفى سنة ٥٨٣ للهجرة قال فيه ابن خلكان انه " كان شاعر وقته ولم يكن فيه مثله جمع شعره بين جزالة الالفاظ وعذوبتها ورقة المعاني ودقتها وفيما اعتقده لم يكن قبله بمثني سنة من يضاهيه " . وهو كذلك فاننا لم نر ديواناً جمع ما جمع هذا الديوان من نفيس الشعر غزلاً ومدحاً وهجاء فكيفما قلبته لا تجد الا اياتاً محكمات وآيات في البلاغة بينات كقوله في مدح الامام المستضيء بالله سنة ٥٧٧ ومطلعها

نخلت من عطائك الانواء وتجلت بنورك الظلماء
واستجابت لك الممالك اذعا نأ وفيها على سواك اباة
نسخ العدل في اياتك الجو ر كما ينسخ الظلام الضياء

وهي طويلة فيها ٨٧ بيتاً عامراً ببلغ المعاني وجزل الالفاظ وكقوله في مدحه ايضاً

سست الانام بسيرة ما سارها في الناس الا جدك المتوكل
لا حرمة الدين الحنيف مضاعة كلاً ولا حق الرعايا مهمل
شرقاً بني العباس شاد بناءه لكم فاعلاه النبي المرسل
شرفتم بطحاء مكة فاغدت بكم يعظم قدرها ويجل

وكقوله في مدح عضد الدولة ابن المظفر

آل المظفر والسيادة فيكم خلق وغيركم بها يتخلق
يتلو قعيداً في السيادة معرقاً منكم قعيد في السيادة معرق

انت الغام الجون فيه صواعقُ
وكأن كفك ديمة مدرارة
هيئات شأوك هضبة ازليقة
وقوله في عماد الدين ابن الشهرزوري
بكم أيد الله الممالك فاغندت
فن سائس للملك فيه مدبر
وعشتم لدهر انتم حسناته
وقوله في مدح صلاح الدين الايوبي

يرجى ويرهب بأسه والماجد المفضل من يرجى نداهُ يرهبُ
مخضرة اكنافه لوفوده
والعام محمّر الذوائب اشهبُ
صب بتشديد المآثر متعب
فيها ومن شاد المآثر يتعبُ
حملت به بعد العقام فانجبت
أم العلى ما كل أم منجبُ
ملكست سبحاياه القلوب محبة
ان الكريم الى القلوب محبُ
وقوله في مدحه ايضاً

اضحت دمشق وقد حلت بربعها
وغدت بعدلك وهي اكرم منزل
مأوى الطريد وموئل المسكين
تلقى الرحال به وخير قطين
بثني عليك المعتفون بها كما
ورثاؤه قليل وهجاؤه كثير افراط فيه احياناً حتى اضطررنا ان نجذف بعضه وقت طبعه.
ومقاطيعه وهزلياته تسيل ظرفاً كقوله وقد كتب بها الى عماد الدين ولد الوزير عضد الدين

يا عماد الدين يا
يا اجل الناس قدراً
يا ابن خير الوزراء
ان تأخرت فقد
انا لا احضر الا
حالة دلت على ض
يا اكرم من تحت السماء
ابن خير الوزراء
قدمت في الليل دعائي
في مواقيت الهناء
عف قلوب الشعراء

وقوله في هجاء حمّامي

وجه يحيى ابن بخنيار اذا
فكرت فيه من سائر الانحاء
مثل حمامه المشوم سواء
مظلم بارد قليل الماء

وقوله لحا الله ليلاً بالعراق سهرته انقح من مدح اللثام القصائد

فلما نضى عني الظلام رداءه تيممت سوقاً للمدائح كاسدا

وقوله في تحذير صلاح الدين من ابن الحصين

يا صلاح الدين خذ حذرَكَ من صل العراق

فلقد وافاك في ثوبي عناد ونفاق

لا يغرّنك منه منطق حلو المذاق

تحنه ما شئت من افك وزور واخلاق

افغوان ما لما ينفقه من فيه راق

والديوان كبير يقع في أكثر من خمس مئة صفحة بقطع المقتطف وكله من نفيس الشعر وقد قطع ثمنه ٣٦ غرشاً من غير تجليد و٤٠ غرشاً مجلداً تجليداً بسيطاً و٥٤ غرشاً مجلداً تجليداً متقناً وموسوماً بالذهب. ويطلب من ادارة المقتطف ومن كل المكاتب الشهيرة

رسالة المفعله ورسالة جيد

للعالم المحقق ظاهر افندي خير الله الشويري مباحث كثيرة في اسرار العربية استفدى فيها اموراً لم نرها لغيره من الباحثين وخالف في بعضها ائمة اللغة حاسباً ان القياس اصل في اللغة فلا يعدل عنه الا لمسوغ وانكر وجود الشذوذ فيها وحاول وضع القواعد لما سمع منها شاذاً عن غيره وقال بوجود كلمات يدعو القياس الى استعمالها ولو لم تسمع من العرب او لم تذكر في المعاجم الواسعة وانه يجب ان تبني المباحث في اللغة على هذه المبادئ وهي

(١) انه ليس في اللغة شيء لغواً ولا عبثاً ولكن في اللغة ما لم يعرف سره بعد

(٢) انه لا يقبل في اللغة قول لا يسنده قياس ولا يعضده سماع

(٣) انه ليس في اللغة شاذ ولكن قد تخفى الحقيقة فيدعى الشذوذ

(٤) انه من مذاهب العربية الاتساع في الاستعمال ولا يقال لذلك شذوذ

(٥) انه للآئمة مع الاعتراف بفضلهم ان ينقلوا الينا لغة العرب وليس لهم ان يحجزوا علينا

مناهج العرب في استعمالها ولا ان يحجزوا بيننا وبينها

(٦) بيني علم اللغة على ركنين السماع والقياس والآن عبارة عما في معاجم اللغة

ولكن المعاجم غير مستوعبة اللغة ولا محررة العبارة ولا مدققة المعاني ولا مستكملة المطالب ولا

مستقصية المواد فقلما تصلح مرجعاً الا في اصول المواد المذكورة فيها ولهذا يجب ان يكون

اعتمادنا في المباحث اللغوية على القياس الآ في اصول المواد المذكورة في المعاجم (٧) نحن في كل معترك اضطراب من اخلال او تشديد او تحكم في اللغة بين ان نقبل القول بذلك ونناصر على تهجين لغتنا وتصعيبها وهي نزيمه عن ذلك وبين ان نرد ذلك القول وان كان قائله من كبار الأئمة ونزّه لغتنا من كل شائبة عيب كما هي في نفسها كذلك. ولكن رد القول بتهجين اللغة اوجب علينا واحسن البنا وهو لا يسوّ الأئمة الفضلاء بل يسرّهم لانهم وحاشاهم لم يعمد احد منهم الى سوء ولكن قالوا بما ظهر لهم وابقوا لنا ان نقول بما يظهر لنا. وان كانوا في المقام اعلى وافضل فوسائطنا أكثر وامل والاعمال بالنيات. والامور مرهونة بالاوقات وقسم ما يظهر التشويش في استعماله الى فصول ربط كلا منهما بقاعدة. فقال ان المشيخة مثلاً ليست جمع شيخ لان المفعلة ليست من ابنية الجوع بل المشيخة مصدر واصل استعمالها من باب الوصف بالمصدر كقول العامة هم مضحكة ومسخرة وملعبة. وان المحاسن مفرد المحسنة ولو لم تذكر في معاجم اللغة لان القياس يدعو اليها والفرع يدل على وجود الاصل. وقسم الكلمات التي على وزن مفعلة الى ما يجمع بالالف والتاء جمع سلامة وما يجمع على مفاعل جمع تكسير وبين حدود كل فريق منهما وقسم جموع التكسير الى ما يشترك بين ذي الحياة وغيره. وما يخص بذي الحياة

ثم ان المؤلف اضطّر ان يهمل بعض ما لا ينطبق على قواعد عند الاستقراء فقال مثلاً ان فُعْلة وفَعْلَى وفَعْلَاء وفَعْل من جموع التكسير مخنصة بالعقلاء ومثّل على الاولى بقضاة ونخاة وترك بزاة. وعلى الثانية بجرحى وهلك وترك جرحى. وعلى الثالثة بعلماء وفضلاء وترك بناء جمع بين. وعلى الرابعة بخدم وحرس وترك خلق وبكر. وقال ان السادة ليست جمع سيد بل جمع سائد والسراة ليست جمع سري بل جمع سارٍ وعمل ذلك والظاهر انه بحسب ان لا مثل لهاتين الكلمتين فكيف يعمل جمع خبيث على خبثة وضعيف على ضعفة وماذا لا يصح ان يقال ان وزن فُعْلة يجمع عليه فاعل مثل كافر كفرة وساحر سحرة وفعل مثل خبيث خبثة وسري سراة (اصلها سروة). نقول ذلك من باب مجازاة الباحث في بحثه وعندنا انه لا يصح الحكم البات في هذه المسائل وامثالها الا بعد درس اللغات المشتركة مع العربية والتي خالط العرب ابناؤها

ولو كانت العربية لغة شعب انقطع عن كل الشعوب من اول عهده ولم يؤثر فيها الا المؤثرات الطبيعية التي يشترك فيها شعب واحد في صقع واحد لشاع فيها القياس وجرت مبانها فتركبها على اساليب معينة لا نتعداها وسهل على الباحث فيها رد فروعها الى اصولها وتعليل

اختلافاتها من غير الاستعانة بدرس لغة اخرى اما وقد اتصل العرب من اول عهدهم بالكلدان واليهود والحميريين والاحباش والقبط والروم فدخل لغتهم الوف من الكلمات الكلدانية والعبرانية والحميرية والحشية والقبطية والرومية ومن التراكيب والتعابير ايضاً حتى ان كثيراً مما نحسبه من صميم العربية كلمة "قلم" منقول اليها من لغة اخرى فالبحث في العربية على الاسلوب الذي طرقه المؤلف لا يفيد الفائدة المطلوبة الا بعد درس هذه اللغات والتمعن فيها . نقول ذلك لا خطأ من قيمة بحثه ولا بخساً لقدر الفوائد التي جناها واتحفنا بها بل اشارة الى انه قد حان لنا ان نجاري الاوربيين في المباحث اللغوية اذا شئنا ان تكون علمية معقولة . وفي كل فصل من فصول هاتين الرسالتين ادلة كثيرة على ان المؤلف بحث بحثاً دقيقاً في كتب اللغة وجمع من الفوائد والشوارد ما يتعذر جمعه الا على كبير المهمة الذي قضى السنين في تصفح امهات الاسفار والبحث فيها بعين الناقد البصير

المنهل

مجلة علمية تاريخية ادبية فكاكية تصدر في منتصف كل شهر لحضرة صاحبها ومنشأه الاديب عطيه افندي حنا
تصفحنا العدد الاول منها فرائنا فيه مقالة عن نقل الاميركيين سفينة مدرعة في البرماسة ميل واخرى عن قوم برايرة يسكنون قرب مدينة باريس وبعدها مقالة عن جريدة تصل اليها الاخبار بتلغراف مركوفي انشئت في جزيرة سنطاكتيلينا بولاية كليفورنيا وهي تبعد عن البر ٣٥ ميلاً . ثم مقالات عن بحيرة يغلي ماؤها بجمرة بركانية وعن اغتراب المصري وعن ولم تل محرر سويسرا ويليها قصته نظماً ومتفرقات علمية وادبية وفكاكية . والمجلة كثيرة الفوائد فنتفي لها النجاح التام

سمة الاخلاص

رسالة وضعها حضرة الكاتب الاديب امين افندي مرشاق سكرتير تفتيش قسم مشروعات الري في ترجمة صاحب السعادة اسمعيل باشا سري مفتش قسم مشروعات الري ابان فيها الرثاء هذا المهندس الوطني بمجده واجتهاده وشرح الاعمال العظيمة التي عملها لنفع بلاده فخلد بها ذكره . وقد نقلنا شرحها عنه في مقالة خاصة في هذا الجزء . وجبذا لود كر كل رجل من رجال الوطن باعمال نافعة مثل هذه

اللغة المصرية العامة

لا يزال الاستاذ فسك الاميركي دائماً في نشر الرسائل المكتوبة بحروف اورية في اللغة المصرية العامة وقد وصلتنا منه الآن رسالة سماها "اجروميه مصري مكتوبا بل لسان المصري ومعا امسله". ولو بذل الاستاذ فسك هذا الجهد في استعمال الحروف اللاتينية لكتابة العربية الجارية الآن في الجرائد السيارة والتي يتكلمها جمهور المتعلمين من اهالي القطر المصري لشاعت هذه اللغة وهي اقرب الى اللغة العربية منها الى العامية ولشاع ايضاً استعمال الحروف اللاتينية وتمت الفائدةان على اسم سهل سبيل اما اللغة التي يريد كتابتها وحفظها فينفر منها جمهور المتعلمين ولا ترغب الامة فيها وقد صار حفظها عسيراً بعد ان انتشرت الجرائد السيارة في البلاد

التقرير المتيورولوجي

The Meteorological Report.

نشرت ادارة المساحة الجيولوجية في القطر المصري تقريرها عن احوال الجو في سنة ١٩٠١ وهو شامل لارصاد الحرارة وضغط الهواء ورطوبة وشد البخار المائي وسرعة الرياح وجهتها واشكال الغيم ومقدار المطر والتبخّر ومدة شروق الشمس واشعاعها وحرارة الارض وحركات الزلازل والارصاد المغنطيسية. ويستفاد من هذا التقرير ان شهر يوليو كان اشدّ الشهور حرّاً ويناؤه يوليو فاغسطس فسبتمبر فمايو فاکتوبر فابريل فمارس فنوفمبر ففبراير فدمبر فيناير. وان اشدّ درجات الحرارة كان في شهر مايو فبلغت الحرارة ٤٣ درجة بميزان سنتغراد وخفضها في شهر يناير فبلغت اربعة اعشار الدرجة

واشدّ ما بلغت الحرارة في مرصد العباسية في خمس عشرة سنة من سنة ١٨٨٤ الى سنة ١٨٩١ هو ٤٥ درجة وعشران واطواً ما بلغت سبعة اعشار الدرجة تحت الصفر. وقد بلغت الحرارة في وادي حلفا ٤٧ درجة وعشرين في ٢٤ يونيو سنة ١٩٠١ وهبطت في شهر يناير الى درجتين وعشرين وبلغ متوسط الحرارة في سواكن في شهر يوليو ٣٦ درجة وبلغ اعلاها في ام درمان ٤٧ درجة واطاها ١١ درجة واعلاها في ود مدني ٤٠ درجة وخمسة اعشار واطاها تسع درجات ونصف درجة واعلاها في كسلا ٤٣ درجة وتسعة اعشار واطاها ١٢ درجة وعشرين

واغرب ما في هذا التقرير ارصاد الحرارة في اديس ابابا في بلاد الحبشة فان درجة الحرارة تكاد تكون واحدة فيها على مدار السنة متوسط اعلاها نحو ٢٣ درجة ومتوسط اوطاها نحو تسع

درجات ٠ ويقع المطر فيها على مدار السنة ايضاً ولكن يختلف ما يقع منه في الشهر من ١٥
مليمترًا الى ٢٧٦ مليمترًا وجملة ما وقع منه في سنة واحدة ١٢٢٨ مليمترًا

ديوان الرافي

اعلن حضرة الشاعر المطبوع مصطفى افندي صادق الرافي انه عزم على طبع الجزء الثاني
من ديوانه في اول صفر من السنة الهجرية المقبلة مفتتحاً بمقدمته في سرقة الشعر وتوارد الخواطر
ومشروحاً شرحاً يقصد به مطلق الفائدة فيتناول اللفظ والمعنى وما يناسبهما من نكتة او نادرة
او فائدة او فكاهة حتى يكون بذلك سفر ادب ممتعاً

بَابُ الْمَسْئَلَاتِ

بمنا هذا الباب منذ أول انشاء المقتطف ووعده أن نجيب فيه مسائل المبتكرين اني لا نخرج عن ذلك
بحسب المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسأله باسمه والقاب ومحل اقامته امضاً واضحاً (٢) اذا لم
يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر لنا ويعين حروفاً تخرج مكان اسمه (٣) اذا لم ندرج
السؤال بعد شهرين من ارساله اليها فليكره سألته فان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهلنا لسبب كافٍ

والحيوانات غير النقرية أكثرها بيوض ولكن
بعضها ولود او بيوض وولود لان صفاره يخرج
من بيوضه وهي في جوفه . ولما كانت الاذان
الظاهرة خاصة بالحيوانات الثديية او
بالحيوانات المرئقة وجدت الصفتان فيما معاً

(١) الولود والبيوض

كفر الزيات . ناشد افندي فريد . يقال
ان كل ذي اذن ولود وكل ذي صماخ بيوض
فهل ذلك كذلك وما هو تعليله وهل القاعدة
مضطردة لا شذوذ لها

ج هذه هي القاعدة الغالبة ولكن
وجود الاذان مع الولادة علة معية لاسببية
ولها شذوذ كثيرة والتقسيم الطبيعي هو ان
الحيوانات النقرية تقسم الى ثديية وطيور
وزحافات فالثديية ولود كلها الاً نوعاً واحداً
من الحيوانات الاسترالية . والطيور بيوض كلها
والزحافات بعضها ولود وبعضها بيوض .

(٢) النتائج العربية والزراعة

ومنه . هل التوقعات الزراعية التي في
النتائج العربية حقيقية دقيقة الوضع او هي
تقريبية

ج هي تقريبية وبعضها غير صحيح
مطلقاً كما يظهر لكم باقل نظر فيها اذا كان لكم
الملم بالزراعة

(٢) عمر آدم

ومنه . بما تعلقون بقاء آدم ٩٣٠ سنة
جاء يرزق على ما ورد في التوراة
ج ان المفسرين غير مجمعين على ان
كلام التوراة يؤخذ على ظاهره فبعضهم
يقول ان ما ذكر فيها صحيح حرفياً وان الناس
كانوا يخافون الله ويعتدلون في معيشتهم ولم
تكن الامراض والآفات فتطرفت اليهم فكانوا
يعيشون كل تلك السنين وبعضهم يقول ان
الاشخاص المذكورين هم رؤساء قبائل او بطون
والمراد ان قبائلهم او بطونهم عمرت كذلك
وبعضهم يقول ان سنينهم لم تكن مثل سنينا

(٣) المطالعة والنوم عقب الاكل

ومنه . هل المطالعة في كتاب فكاهي
او النوم عقب الاكل مباشرة يعيق الهضم
ج كلا ولا سيما اذا اعتاد الانسان ذلك
(٥) بعض اللحوم

ومنه . من لحوم اية حيوانات يصنع
السخني والبسترمه والجبون وهل تناول هذه
الانواع يضر بالصحة

ج ان الاخير من لحم الخنزير
والاولين من لحوم مختلفة والغالب ان تصنع
من لحم الغنم او البقر او الخنزير او الخيل او
الكلاب او القطط حسب اتساع ذمة صانعيها .
واكلها فلما يضر الا من فيه استعداد مزاجي
خاص ليضر بها

(٦) الاحلام وتعبيرها

طنطا . شوقي افندي حبيب ناصر .
ما سبب الاحلام وهل لها تعبير تمكن معرفته
ج الاحلام افكار غير منتظمة ولا
دليل على صحة شيء مما يقال في تعبيرها فان
الناس لا يعلمون الغيب ولا تدل افكارهم عليه
وهم مسيقظون فلا يعقل انهم يعلمون الغيب
وتدل افكارهم عليه وهم نيام

(٧) الحمل

ومنه . من استعمل الحمل الشريف
اولاً وماذا كان قصده من ذلك وفي اي سنة
كان ذلك

ج جاء في كتاب دليل الحج الذي
وضعه المرحوم محمد باشا صادق ان شجرة
الدراراد الحجة سنة ٦٤٥ فصنع لها هودج
كسي بالخلل فسمي الحمل ومن ثم جرت العادة
ان يخرج الحمل كل عام الى الحج . اما الحمل
الشامي فالول من وضعه السلطان سليم سنة
٩٢٣ . واما الكسوة التي ترسل من مصر
فامر بها قديم من عهد الملك الصالح بن الناصر
بن قلاوون سنة ٧٥٠ فانه اشترى ثلاث
قرى من القليوبية ووقف ريعها على كسوة
الكعبة

(٨) كذبة ابريل

ومنه . ما سبب الكذب في اول شهر ابريل
ج قد ذكرنا هذا السؤال والجواب عنه
مراراً في الاجزاء الماضية فراجعوه فيها

(٩) زيادة السكان

مصر . عبد الرحيم افندي محمد . يزيد
تعداد الاهالي زيادة عظيمة في هذه السنين
ولم نر شيئاً جديداً دخل في معيشة الفلاح
ولا عنصراً غريباً يوجب كثرة المواليد او
قلة الوفيات حتى نرجع اليه سبب هذه
الزيادة فهل تجدون فرقاً يصلح ان يكون
سبباً علمياً لزيادة سكان القرى على
الخصوص

ج ان الزيادة حقيقية وسببها كثرة
المواليد بتيسر امور المعيشة وقلة الوفيات بزيادة
اعثناء الحكومة والاهالي بالاطفال وبالتحولات
الصحية التي تمنع فتك الامراض وانتشار
الابوثة . وبزيادة حفظ الامن . ويظهر لنا ان
ازدياد الاعثناء بالاطفال من حيث تغذيتهم
وتطبيبهم ووقايتهم من الجدري بالتطعيم هو

السبب الاكبر لزيادة السكان فقد كان ثلث
الوفيات كلها من الاطفال من لدن ولادتهم
الى آخر السنة الاولى من عمرهم ونحو ثلثها
ايضاً من الاطفال الذين عمرهم من سنة الى
خمس سنوات اي كان ثلثا وفيات السكان
من الاطفال الى السنة الخامسة من عمرهم
وذلك سنة ١٨٨٦ اما الآن فلا نظن ان
وفيات الاطفال تبلغ نصف الوفيات كلها

(١٠) اشارات الماسون

طرابلس الشام . عيسى افندي الحلو .
يزعم البعض ان لاعضاء الجمعية الماسونية
اشارة سرية لا يعلمها غيرهم بها يميز احدهم
الاخر لاول وهلة مهما كان بينهما من
تفاوت الرتبة وتباين المشرب فهل ذلك صحيح
ج نعم صحيح

بَابُ الْاَحْجَايَا الْعِلْمِيَّةِ

الظواهر الفلكية في شهر مارس

اوجه القمر

يوم	ساعة	دقيقة	البدر
٢	٤	٤٨ صباحاً	البدر
٩	٣	١	الربع الاخير
١٧	٧	٣٩	الهلل
٢٤	١١	٣٧ مساءً	الربع الاول

البدر

السيارات

يكون عطارد نجم الصباح في اول الشهر
ثم يخفي باسعة الشمس
وتشرق الزهرة قبل الشمس بساعة ونصف
ويبقى المريخ ظاهراً في الغرب ساعة بعد
مغيب الشمس

وموقع المشتري لا يصلح لرصده
وزحل نجم الصباح يشرق في ١٥ الشهر
قبل الشمس بساعتين
ويكون السرطان قبل سمت الراس الساعة
التاسعة مساءً والسفينة قرب الافق

قوة الروس واليابان البحرية

مدار الحرب الناشبة الآن بين الروس
واليابان وعمدتها الاساطيل البحرية اسطول
اليابان كله واسطول الروس المقيم في الشرق
الاقصى وعند الروس من البوارج والطرادات
والمدفعيات خمسون سفينة عدا السفن القديمة
التي لا يعتمد عليها في الحروب الحديثة. تفرغها
كلها ٦٧٠ ٣٥٨ طنًا وهي كل ما عندها في
بحر اوروبا واسيا. وعند اليابان ثلاث
وثلاثون سفينة من البوارج والطرادات
والمدفعيات تفرغها كلها ٣٤٠ ٣٠٨ طنًا
وتقسم سفن الروس واليابان حسب نوعها
وفوتها هكذا

(١) البوارج التي من الطبقة الاولى -
عند الروس عشر متوسط تفرغ كل منها
١٢٦٠ طنًا وعند اليابان ست متوسط
تفرغ كل منها ١١٥ ١٤ طنًا
(٢) البوارج التي من الطبقة الثانية -
عند الروس عشر متوسطها ٩٥٤٥ طنًا وليس
عند اليابان بارجة من الطبقة الثانية
البوارج التي من الطبقة الثالثة - عند

الروس ثلاث متوسطها ٤١٢٦ طنًا وعند
اليابان واحدة تفرغها ٧٢٢٠ طنًا
الطرادات المدرعة من الطبقة الاولى -
عند الروس خمسة منها متوسطها ١٠٢٦٠
طنًا وعند اليابان ثمانية متوسطها ٩٢١٠
اطنان

الطرادات من الطبقة الثانية - عند
الروس تسعة متوسطها ٦٤٢٥ طنًا وعند
اليابان ثمانية متوسطها ٤٥٠٠ طنًا
الطرادات من الطبقة الثالثة - عند
الروس اربعة متوسطها ٣٥٠٠ طن وعند
اليابان ثمانية متوسطها ٢٨٧٠ طنًا
المدفعيات - عند الروس تسع متوسطها
٥٠٠ طن وعند اليابان اثنتان متوسطهما
٨٧٥ طنًا

فسفن الروس الحربية اكثر عددًا وقوة
من سفن اليابان وهي الدولة الثالثة في القوة
البحرية لا يفوقها الا انكلترا وفرنسا وتأتي
المانيا معها في درجة واحدة

وما تقدم عن اساطيل روسيا يشمل كل
ما عندها في اوربا واسيا كما تقدم اما اساطيلها
التي في اسيا وعليها المعول في هذه الحرب
فهي ٣١ من البوارج والطرادات وتفرغها
كلها ٢٠٠٠٠٠ طن وهي ثمانى بوارج واربعة
طرادات مدرعة من الطبقة الاولى وستة من
الطبقة الثانية وخمسة من الطبقة الثالثة وسبع
مدفعيات. ويضاف اليها نحو عشرين نسافة

واقوى الطرادات الفاريق الذي غرقت
قبطانه في شمولو فان سرعته ٢٤ ميلاً بحراً
في الساعة فهو اسرع الطرادات الكبيرة

اما من حيث الرجال فقد قال احد الثقات
ان اليابانيين ابدوا في حربهم مع الصين كل
المهارة والشجاعة والاقدام التي يمكن ان تنتظر
من بحارة اقوى الدول البحرية . وكذلك رجال
الروس يقال انهم من احذق الناس واشجعهم
وضباطهم من اعلم الناس بفنون الحرب البحرية
ثم ان اليابان تحارب في بحارها وعلى
مقربة من الحياض التي تصلح فيها سفنها
وتأخذ الفهم منها وهذه مزية كبيرة لها على
الروس في هذه الحرب

ومما تلام روسيا عليه ان حكومة شيبي
كانت تبني بارجنين من الطبقة الاولى في
بلاد الانكليز وحكومة ارجنتين كانت تبني
طرادين من الطبقة الاولى في ايطاليا فالاعقد
الصلح بين هاتين الحكومتين واتفقا على
تقيص عمارتيهما عرضت شيبي بارجنيا للبيع
وكذلك عرضت ارجنتين طرادها للبيع
وظلّت روسيا تشتري البارجنين والطرادين
وجعلت تسام في الثمن . ولو اشترت هذه السفن
الاربع لفاقت قوتها قوة اليابان في الشرق
الاقصى ولكن وكلاءها الذين فوض اليهم
مشتراها تهاملوا وتباطأوا فسبقها انكلترا
واليابان الاولى اشترت البارجنين والثانية
اشترت الطرادين ووصل الطرادان الى بلاد

وكذلك الى اسطول اليابان . فالاسطول
الياباني اقوى من الاسطول الروسي
الذي في المشرق من حيث العدد والسعة وقد
اضيف اليه منذ ايام طرادان من الطبقة
الاولى فزاد بهما قوة

وقوة الاساطيل تقوم بقوة بوارجها وطراداتها
التي من الطبقة الاولى ببناء دروعها ومقدرتها
على احتمال نيران العدو وعلى مهاجمته . ويقول
الخبيرون بالحروب البحرية ان اسطول اليابان
اقوى من اسطول الروس من هذا القبيل
فان فيه ست بوارج وثمانية طرادات
والبوارج ماثلة تماماً وكذلك الطرادات قوتها
واحدة وسرعتها واحدة فاذا سارت للقتال
سارت معاً ووصلت معاً وهاجمت العدو على
اسلوب واحد وفي وقت واحد وكلها من
احد طراز ومن اقوى ما صنع من نوعها
ومدافعها من احداث المدافع واقواها وفي بعضها
انابيب ترمي بها التريد من تحت الماء .
وهذه السفن الاربع عشرة من البوارج
والطرادات تفريغها ١٥٨٠٠٠ طن ويقابلها
١٢ من البوارج والطرادات الروسية تفريغها
١٤٢٠٠٠ . والبوارج الروسية اصغر قليلاً
من البوارج اليابانية وحديثة مثلها ولكنها
ابطأ منها سيراً وهي مبنية على نسق البوارج
الفرنسوية واما اليابانية فبنية على نسق
البوارج الانكليزية . واقوى البوارج الروسية
الزاروتش التي اصيبت في المعركة الاولى

الوفيات وتقدم الطب

ثبت بالاحصاء في الولايات المتحدة الاميركية مدة السنوات العشر الاخيرة ان الوفيات بالذبحه قلت من ٢٧ في المئة الف الى ١٠ وبالتيفويد من ٤٦ الى ٣٣ وبامراض الدماغ من ٣٠ الى ١٨ وبالتهاب الشعب من ٧٤ الى ٤٨ وبكوليرا الاطفال من ٧٩ الى ٤٧ وبالحمل المملارية من ١٩ الى ٨ وبالشهقة من ١٥ الى ١٢ وبهزة الحائط من ٥٦ الى ٣٣ وبالقرمزية من ١٣ الى ١١ ولكن زادت الوفيات بالسرطان من ٤٧ الى ٦٠ وبالسكته من ٤٩ الى ٦٦ وبالبول السكري من ٥ الى ٩ وبامراض الكليتين من ٥٩ الى ٨٣ فالنقصان اكثر كثيراً من الزيادة ولعل سبب الزيادة ان بعض الذين ينجون من الامراض الاخرى ويعمرّون يتعرضون للامراض التي زادت وفياتها . ولا شبهة في ان قلة الوفيات نتجت من تقدم صناعة الطب وحفظ الصحة

الراديو تلوريوم

استخرج الاستاذ مركفلد النمساوي مادة جديدة سماها راديو تلوريوم تخرج منها اشعة كهربائية شديدة الفعل جداً . وكل ما استخرجه منها اربعة مليغرامات استخرجها من طنين من البتسبلند وهو يظن انها عنصر بسيط . وتمتاز هذه المادة على الراديوم في ان اشعتها كلها من نوع الاشعة β من اشعة

اليابان في ١٦ فبراير فزادت بهما قوت اليابان قوة لانهما من اقوى الطرادات ولولم يكونا من اسرعها

الفحم الحجري في اليابان

من ام ما تعتمد عليه اليابان في حربها مع الصين كما تعتمد عليه في صناعتها وتجارتها الفحم الحجري فانه كثير في بلادها واغنى مناجمها في جزيرة يوزو التي يخشى اليابانيون ان يستولي الروس عليها . وعندهم شركة صناعية تجارية وهي من اغنى الشركات الصناعية التجارية في الدنيا رأس مالها مليوناً جنيه ونوزع ربحاً في السنة من عشرين الى ثلاثين في المئة فاذا حسبنا الربح الذي توزعه ٢٥ في المئة وقومناها حتى يكون الربح خمسة في المئة بلغت قيمة رأس مالها عشرة ملايين من الجنيهات . ويقال ان في المناجم التي تمتلكها ٢٥٠ مليون طن من الفحم الحجري وهي تجري في استخراجها على احدث الاساليب العلمية المتبعة في اميركا فتخرج المناجم وتقتلع الفحم منها بقوة الهواء المنضغط لا بقوة البارود والديناميت وتديرها بالكهربائية وتسير المركبات فيها بالهواء المنضغط . وعند هذه الشركة سكك حديد لنقل فحمها من المناجم الى المرافئ طولها ٢١٢ ميلاً . وبلادينهض اعلاها في ثلاثين سنة ويؤلفون مثل هذه الشركة لجديرة بان تعد بين ارق البلدان

الراديوم وفي ان قوتها تبقى على حالها ولا تضعف
مثل اشعة البولونيوم

اشعة بلندلو

ذكرنا غير مرة ان المسيو بلندلو اكتشف
اشعة جديدة سماها اشعة N نسبة الى نسي
المكان الذي اكتشفها فيه ونسب اليها افعالا
غريبة جدا وقد تلا العالم لومر في جمعية
برلين الطبيعية مقالة مسببة بين فيها ان كل
ما رآه بلندلو ونسبه الى هذه الاشعة غير
حقيقي اي لا حقيقة له في الخارج بل هو
وهي يخيل له كذلك . وكتب العالم برك
الى جريدة ناتشر في ٨ فبراير يقول انه جرّب
التجارب التي ذكرها المسيو بلندلو فلم ير شيئا
مما رآه بلندلو وهو مع ذلك يظن ان الاشعة
حقيقية وان المسيو بلندلو رآها حقيقة . وفي
ذلك اليوم عينيه قرّر المسيو بيشات في اكااديمية
العلوم بباريس ان اشعة N تجري على بعض
الاسلاك كما يجري النور في الانابيب العففاء
بانعكاسه من نقطة الى نقطة ولكنها لا تجري
على اسلاك كل المعادن بل على بعضها فتجري
مثلا على اسلاك النحاس ولكنها لا تجري
على اسلاك الرصاص

قرد ثمين

كان عند احد اصحاب المشاهد قرد
مشهور بالذكاء وقد آمن حياته على خمسة
وعشرين الف جنيه . توفي في مدينة برلين

في الخامس عشر من شهر فبراير فطير البرق
منعاه الى باريس ولندن وغيرها من مدن
اوربا واميركا . وكان له طبيب خاص لا يد
يرافقه في الحل والترحال لان صاحبه كان
يرج منه من ٢٠٠ الى ٣٠٠ جنيه كل
اسبوع . ويقال ان الاطباء خنطوا جثته
لترسل الى باريس حيث يحنفل بها مدة
اسبوع قبل دفنها . ولا بد من ان يكون غرض
صاحبه من ذلك زيادة الربح وزيادة الشهرة

قاموس علي هندي

يهتم الهنود الآن بتأليف قاموس في
لغتهم للمصطلحات العلمية من رياضية وطبيعية
وفلكية وما اشبه وقد اخصروا بعض الاسماء
العلمية فسموا الكربون "كرب" والفسفور
"صفور"

الحياة قبل الولادة

كتب المستر سنوت صاحب مجلة الآراء
الحرّة ان الناس العائشين الآن في الدنيا
كانوا عائشين فيها منذ ١٥٠٠ الى ٢٠٠٠
سنة وان نفس كل طفل يولد الآن كانت
في انسان آخر عاش ومات منذ نحو اربع
سنة وان بعض الناس يتذكرون حوادث حياتهم
الاولى ومن هذا القبيل الدكتور انا كنجفورد
فانها تقول ان نفسها نفس افلاطون . ومسر
بزنت فانها تقول ان نفسها نفس هبشيا العاملة
الاسكندرية . ولا ندرى من اين يأتي

بالنفوس الكافية للناس العائشين في الدنيا الآن فانهم اضعاف ما كانوا منذ ألفي سنة الا اذا ادعى ان النفوس تكثر بالولادة او بالتجزؤ كالحيوانات والنباتات

اصلاح الآلات البخارية

كانت نتيجة التحسين المستمر في الآلات البخارية انه يستخرج الان من الفحم الحجري ثلاثة اضعاف القوة التي كانت تستخرج منه منذ سنين سنة

تطهير اللبن بالكهربائية

صنع الالمانيون آلة فيها اناء ان يوضع اللبن في احدها ويفرغ منه الى الآخر وتكرر به شرارات كهربائية وهو يفرغ فتولد فيه اوزونا يقتل كل ما يكون فيه من ميكروبات الامراض وينقيه منها

استئصال الجرذان

اكتشف الدكتور دنيز من مستشفى باستور في باريس ميكروب مرض يميت الجرذان دون سواها من الحيوانات. يرثي هذا الميكروب في مرق اللحم ويبل الخبز به وي طرح للجرذان فتأكله وتموت

السمك الاعمي

أتى الى معرض التاريخ الطبيعي في كنسنتون بسمك اعمي من كهوف في جزيرة كوبا. ولا شبهة في ان الكهوف التي وجدت فيها هذه الاسماك كانت متصلة بالمحرم القطع

الاتصال بينها وبينه ولما كانت محجوبة عن النور ضعفت عيونها رويداً رويداً حتى صارت اثرية ويهتم العلماء الآن في تقدير الزمن الذي انفصلت فيه تلك الكهوف عن البحر ليعلم كم اقتضى لاسماكها حتى فقدت عيونها

سرعة التصوير للجرائد

لما جرى سباق اليخوت في اميركا في الصيف الماضي ارسلت جريدة نيوارك الاميركية مكاتباً من مكاتبها الى مكان السباق فصور اليخوت التي اشتركت في السباق بالآلة التصوير الشمسي واظهرها وهو على ظهر السفينة في نور النهار ولها وربطها تحت جناح حمامة من حمام الزاجل واطلقها فطارت الى مطبعة الجريدة في نيوارك على بضعة عشر ميلاً ونزعت الصورة من تحت جناحها وحفرت وطبعت في ذلك اليوم عينه

كوريا

يظهر موقع كوريا الجغرافي وشكلها من النظر الى الشكل الذي نشرناه في المقالة الاولى. ومساحة البلاد ٨٢ الف ميل مربع وعدد سكانها غير معروف تماماً ولكنه يقدر بين عشرة ملايين وستة عشر مليوناً وعاصمتها سيول عدد سكانها مئتا الف نفس. وكانت كوريا تابعة للصين الى سنة ١٨٩٤ وكانت الصين تنولى كل مسائلها الخارجية وسنة

١٨٩٤ قامت اليابان وطلبت تغيير تلك الحالة ومشاركة الصين في ادارة امور كوريا لانه كانت لها فيها مصالح مالية لا يسعها الاغضاء عنها فرفضت الصين ذلك ونشبت الحرب بينها وبين اليابان فاجلت عن استقلال كوريا عن الصين وتحالفها مع اليابان. واليابان تتناول من كوريا كثيراً من مواد الطعام ومن المواد الاصلية لصناعتها فانها جبلية زراعية ومعدنية فتكثر فيها حاصلات الزراعة ومعادن الارض

وملك كوريا كهل عمره نحو ٥٤ سنة وهو يعرف تاريخ بلاده اتم معرفة وله اطلاع على كل الكتب العلمية والادبية التي تُرجمت الى لغتها ولكنه يجمل اللغات الاوربية وحكومة بلاده استبدادية على نوع ما وتكاد ازمته تكون في يد وزرائه ونسائه او كبير الوزراء وكبيرة النساء. وكبيرة النساء هذه ليست من بيت الملك بل كانت رفيقة رجل صيني ثم رفيقة وزير من وزراء كوريا واخيراً دخلت قصر الملك جارية عند زوجته الملكة وارثت بذكائها ومهارتها وهي تحسن اللغة الكورية واللغة الصينية ايضاً قراءة وكتابةً فقربتها الملكة اليها وجعلتها من اخص جوارها ونظر اليها الملك كما نظرت اليها الملكة فغارت الملكة منها وابتعدت عنها. ثم لما قُتلت الملكة سنة ١٨٩٥ عادت هذه المرأة الى القصر وصارت من اقرب نساء الملك اليه

وسبعة اعشار السكان فلاّحون والصناع فلاّحون ايضاً فاذا لم يستطع الصانع ان يحرث ارضه ويزرعها يده حرثها امرأته واولاده. والباقون تجار او باعة او معدّن او بحارة او خدام في مصالح الحكومة ويزرع في كوريا والارز والتبغ والقمح والشعير والدخن والقطاني على انواعها ويصدر منها كثير من الارز والفول وتصاد الحيتان من بحورها. وفيها مناجم غنية من الذهب أعطي امتيازها لشركات اميركية وروسية والمانية ويابانية وانكليزية وفرنسية وفيها ايضاً مناجم من النحاس والحديد والقمح الحجري وهي كثيرة وغنية ولها تجارة واسعة مع انكلترا وروسيا والصين واليابان وقد كانت ستة اعشار وارداتها من انكلترا وثلاثة اعشارها من الصين واليابان اما الآن فصار جانب كبير من وارداتها من اليابان. والذهب المستخرج منها يزيد سنة بعد سنة فقد كانت قيمته مئتي الف جنيه سنة ١٨٩٧ فصارت ٢٣٧ الف جنيه سنة ١٨٩٨ و٢٩٣ الف جنيه سنة ١٨٩٩ و٣٦٣ الف جنيه سنة ١٩٠٠ و٤٩٩ الف جنيه سنة ١٩٠١ و٥١٧ الف جنيه سنة ١٩٠٢ وبلاد غنية الى هذا الحد بخيراتها الطبيعية يكون غناها نعمة لها او نقمة عليها حسب همة اهلها واقدارهم على الانتفاع بخيرات بلادهم والاستئثار بها او خمولهم

واستسلامهم للطامعين فيهم

وفيها سكة حديدية من سيول العاصمة الى شوبلو طولها ثلاثون ميلاً وهي لشركة يابانية واخذت شركة يابانية امتيازاً بسكة اخرى طولها ٣٠٠ ميل من فوزان الى سيول ملت جانباً منها . وفي انهار كوريا بواخر صغيرة اليابانيين وفي عاصمتها الترام الكهربائي والتلفون وفي البلاد كلها اكثر من النى ميل من التلفون . ويظهر من ذلك كله انه اذا انضمت هذه البلاد الى اليابان واتحدت معها اتحاد سكتلندا بانكترا صارت مملكة اليابان من اغنى الممالك واقواها

احترق مكتبة تورين

اضطربت النار من سلك كهربائي في مكتبة تورين في السادس والعشرين من شهر يناير الماضي فاحترقت جانباً كبيراً منها وفي جملة ما احترق ٣٧٠٠ كتاب من كتب الخط باللغات الشرقية وثلاثة آلاف مجلد باليونانية واللاتينية والمجموع البندقي الذي كان في مكتبة الكردينال دلاوروري . وكان في هذه المكتبة ٣٦٠ الف مجلد من الكتب المطبوعة فاحترق مئة الف كتاب منها . ومما حرق كتب بيت ملوك سافوى وكتب الخط العربية والفارسية والقبطية والعبرانية واليونانية واللاتينية . ويُعد احتراق هذه المكتبة من اكبر الخسائر التي خسرها العلم وخسرتها إيطاليا

النار في بلتيور

شبت النار في مدينة بلتيور باميركا في السابع من فبراير واستمرت الى اليوم التالي فدمرت من المباني ما يساوي مئة مليون ريال ولكن لم يمت بها احد من السكان . وبلتيور من امهات مدن اميركا عدد سكانها نحو ستمئة الف نفس

صادرات القطن الاميركي

بلغت قيمة القطن الذي صدر من اميركا في العام الماضي ٦٣ مليون جنيه الراديوم والماء

جاء في جريدة الطب الهيموباثي انه اذا وضعت انبوبة فيها قليل من الراديوم في اناء فيه ماء اكتسب الماء خاصّة الاشعاع والمظنون ان فعله يصير مثل فعل الراديوم

آلة الطيران

صنع الخواجات اورثل وريط آلة ميكانيكية للطيران واجريها على قضيب من قضبان سكة الحديد المفردة مسافة اربعين قدماً فصعدت في الهواء وسارت ضد ريح سرعتها ٢٥ ميلاً في الساعة وكان معدل سرعتها عشرة اميال في الساعة فكأنها سارت بسرعة ٣٥ ميلاً في الساعة والمسافة التي سارتها ٨٥٢ قدماً فقط ثم نزلت الى الارض من غير ان ينالها مكروه

فهرس الجزء الثالث من المجلد التاسع والعشرين

الحرب بين الروس واليابان (مصوِّرة)	١٩٣
لباس الراس . لمحمد افندي كرد علي	٢٠١
الخصومة والقضاء عند العرب . لامين افندي ظاهر خير الله	٢٠٦
مدارس الامة في المانيا . لابرهم افندي عطا	٢١١
خزان اصوان وبجيرة مورش (مصوِّرة)	٢١٤
جبار الاخطبوط (مصوِّرة)	٢٢١
اسماعيل باشا سري والري الصيفي (مصوِّرة)	٢٢٦
خطر علينا وعلى الدين . لعبد القادر افندي حمزه المحامي	٢٣١
العلم في العام الماضي	٢٤٠
الامير بشير الشهباني	٢٤٣

باب المراسلة والمناظرة * رد على رد وانتقاد . البحر والسماء . اقتراح	٢٤٧
باب الزراعة * المعرض الزراعي . تجربة المحرانيين البخاريين	٢٥١
باب تدبير المنزل * تمرىض المرضى	٢٥٩
باب التقريظ والانتقاد * ديوان التعاويذ . رسالة المفعلة ورسالة جريد . المنهل . سمة الاخلاص . اللغة المصرية العامة . التقرير المتنبورولوجي . ديوان الرافعي	٢٦٢
باب المسائل * الولود واليوض . النتائج العربية وانزراعة . عمر آدم . المطالعة والنوم . عقب الاكل . بعض اللحوم . الاحلام وتعبيرها . الحمل . كذبة ابريل . زيادة السكان . اشارات الماسون	٢٧٠
باب الاخبار العلمية * وفيه ١٨ نبذة	٢٧٢
رواية البوليس السري ملخصة بالمقتطف	

الفصل السادس

قلعة شلسلبرج

في احدى الجزر المتجمعة على مصب نهر نيفا ابنية عديدة محشودة لا يؤذن لسوى زورق واحد في الدنو منها . واحد هذه الابنية العظيمة قلعة شلسلبرج الهائلة او احد السجون الذي يلقى فيه المأخوذون بالتهمة السياسية . ومنها بناء آخر يدعى قلعة القديسين بطرس وبولس وقد وصف كاتب اميركي قلعة شلسلبرج بقوله : —

”ان حرامها منتشرون على شاطئ الجزيرة في نقط متقاربة بحيث يستطيعون ان يكلموا بعضهم بعضاً . وهم مأمورون ان يطلقوا النار على كل من حاول الاقتراب من القلعة دون ان يسبق ذلك انذار او يتقدمه سوءال . وعندما تطأ قدم غريب حافة الشاطئ يسددون البنادق صوبه ويشنون بالرصاص قلبه فتسقط جثته الى النهر وتطفو عائمة على البحر ويذهب دمه هدراً . وانما يجوز لزورق واحد ان ياتي الجزيرة وهو مصبوغ اسود وتحت امر البوليس خاصة ولم يرجع قط واحد من الذين قضى عليهم سوء الحظ بالسجن في تلك القلعة والشائع عند الاكثرين ان كل من يساق اليها لا يعود منها سالماً الا للذهاب الى سيبيريا“

فالى هذه القلعة جيء بالامير لاديسلاز وفي مساء اليوم الذي فيه كلامنا جلست الاميرة كاريثا في ذلك الزورق (زورق البوليس) قاصدة القلعة ومعها ضابطان فلما بلغت مدخلها لقيها قسيس السجن وكان قد جاء الى هذه القلعة من عشرين سنة بعلي النيبيلست المسجونين ويقوم امامهم بفروض الدين . فاستقبل الاميرة منقبضاً وحياتها وقال : —

— تشجعي يا ابنتي وتجلدي . ان اخاك الامير مريض جداً . فانه عند وصوله اودعوه اوطاً مكان في القلعة حيث ناشته مخالب البرد والرطوبة ونشبت في جسمه الغض الناعم اظفار العنونة والفساد . اذا استعدي للملاقاة تغير عظيم فيه

— ويلاه ؟ هل مات ؟

— كلا يا ولدي

— اذا هو في حالة النزاع ؟

— نحن في يدي الله ؟

فاخذت بكلمه وقالت : — قل لي بعيشك قل لي يا اُبت المحترم اما سقوه سماً ؟
فرسم الكاهن علامة الصليب على وجهه وقال : نحن يا ابنتي في يدي الله . تعالي معي

وانظريه . فقد نقلوه الى الطبقة العليا

وكان الامير لاديسلاز قد نُقل الى غرفة عالية تشرف على المدينة وانوارها نالت على وجه الماء تألق الكواكب في السماء . فبرح الخفاء لدى الاميرة حينما رمت جسمه الناحل النخل وابصرت ظل الموت مخمياً على عينيه حتى انه بالجهد استطاع ان يعرفها . ثم تكلف الجلوس بمسقة شديدة وقال لها بصوت خافت : —

— كاريता اين نادين ؟

— لاديسلاز — اخي — واحرقه كبداه ؟ ماذا أخبرك بل بم أجيبك على هذا السؤال ؟ ثم جثت على ركبتها بجانب اخيها . اما هو فرفع نفسه بجهد عنيف مرة ثانية وانكأ على جنبه وقال : —

— اين هي ؟ لماذا لا تجيبيني ؟ أجيبني يا اخناه . هل قتلها ايضاً ؟ نعم ! نعم ! ماتت نادين ! ليس الامر كذلك ؟ فلم يجاب بـ سوى تنهدات تلك المسكينة المنكسرة القلب المغموطة باثقال الحزن والكرب . ثم أسرّ اليها بنفس متقطع وفكر متضعع : —

— كاريता . تنتقمين لنا انت والكسس ؟ اصفي الي . اني اخذت بكيدة جون فاين لانه سرق الكتاب من عندك ولا اعلم — او لا يهمني ان اعلم — كيف تمكن من ذلك . والكتاب الآن عند كيراتيف . فاحلفي لي انك تنتقمين من ذلك الغدار وتأخذين بثاري وثأر نادين :

— احلف لك يا شقيق الحياة اني ساقطع للأخذ بثأركا حتى تدركني الوفاة

— شكراً لله ! افترني الي أكثر . لا أقدر ان اراك . لكنك انت هنا ايها الاب

المحترم . اليس —

ثم انتهت عبارته بتنهد عميق اخنطفته اخنه من فيه بقبلة يكفي لوصفها قولنا انها قبلة شقيقة لشقيق . وعندها قضي الامر ونوفي الامير لاديسلاز

وفي الساعة الثانية عشرة (نصف الليل) بلغت اخنه الشاطئ راجعة من القلعة

الفصل السابع

انتقام امرأة

وفي اليوم التالي جلس رئيس البوليس ديمتري كيراتيف في ديوانه يراجع الوقائع الحادثة منذ ايام . ولم يسره سير تلك الحوادث لان قيامه بوظيفته كرئيس الفرقة الثالثة الخفية كان

ينرض عليه اتمام الاخطار وركوب الاهوال ولم يخف عليه انه هو نفسه كان آلة للانتقام السري الذي تحتم عليه اجراؤه والا اتهم بمشايعة زعماء النيبيلست الحاضرين في كل مكان (في روسيا) وفيما هو جالس متكرهاً مشتمراً ولا سيما من هول حادثة الامير لاديسلاز التي جرت على طريقة وحشية لم يسبق لها نظير اذا باحد القائمين بين يديه قد عرض عليه اسم الاميرة كاريتا طالبة الاجتماع به

واذ لم يجد سبباً يبعثه على رفض طلبها بل رأى بواعث كثيرة تدعوه الى اجابة ملتسها أمر بادخالها . ولم تلبث ان دخلت وجلست على كرسيّ مقابله واخذوا ينظران احدهما الى الآخر ساكتين فافتتح الكلام بقوله : —

— ماذا عسى ان استطيع فعله لسمو الاميرة ؟

— انك قادرٌ على فعل اول وآخر معروف يتوقعه منك كل عضو من اعضاء عائلتنا جزء لكل او لواحدة من الايادي التي لنا عليك

كل ما اقدر عليه افعله للاميرة غالتزن بمزيد الرضى والسرور

— حسنٌ وهاك ما اريد . فليس بخافٍ عليك ان اخي مات الآن وقد قبض عليه بسبب امراته التي انحصر العلم بوجودها فيما بيني وبينك . وقد ماتت هي وطفلها ايضاً على ذراعيّ بعدما أخذ عنها لاديسلاز باربع وعشرين ساعة فما اطلبه منك هو الرقيم الذي قبض عليه بسببه — ايها الاميرة . اني انكر وجود رقيم سبب القبض على الامير لاديسلاز ولكن هب الله موجود فلا يسعني ان اجيب طلبك لان اوراقاً كهذه — اذا وجدت — يترتب عليّ حفظها بضبط لاني مسؤولٌ عنها واذا فقدت مني جوزيت عنها يجوز ذب^(١) ومعلوم عندك ان الشغل الشاق في معادن سيبيريا مدة حياتي ليس بالامر السهل عليّ

تمهل عليّ دقيقة فابرهن صحة كلامي . ان الامير لاديسلاز قبض عليه بسبب رقيم جاءه من دورسكي زعم النيبيلست وهذا الرقيم سُرق مني واُعطي لك من احد وكلائك الغرباء جون فاين . فبكل حقوق المعروف اطلب منك هذا الرقيم الآن

— ايها الاميرة . لست في مقام يدعوني الى الحكم في صحة كلامك ولست ارى قوة تخوّلك حق طلب هذا الرقيم مني او الاطلاع على علاقة جون فاين بهذه الادارة . فاذا لم يكن عندك شيء آخر وجدت نفسي مضطراً ان استأذنك في الانصراف من هذا الاجتماع الذي يؤلني — صدقيني — قدر ما يؤلمك

(١) هذا الجواز يعطاه من يحكم عليه بالنفي الى سيبيريا

فظلت الاميرة بضع دقائق ساكنة لا تفوه بكلمة . ثم فُتحَ عليها بما رأته اقوى وسيلة تمكنها من نيل مأربها فالتفتت الى كيراتيف وكان قد تحفز للوقوف متوقعاً ختام هذه الجلسة وقالت :-
 — اي ديمتري كيراتيف : لست اقول شيئاً من جهة العلاقة التي بين عائلتنا ولكني ارفع دعواي اليك كرئيس بوليس روسيا الذي اصبح مستودع اسرار عائلات كثيرة ولما تجري حادثة غريبة خطيرة لا يحيط بها علماً . وساقص عليك حادثة محزنة لم تسمع قط بمنها فارعني سمعك :-

وبعد ساعة — عند فراغها من سرد قصتها — نهض رئيس البوليس من مجلسه وذهب الى خزانة من حديد وفتحها واخرج منها الرقيم واعطاه للاميرة وقال :-
 — ان ما قصصته علي الآن اقنعني كل الاقتاع بأن لك حقاً صريحاً في طلب هذا الرقيم فانه كتاب اخنلسه منك جون فاين الانكليزي . ولتطب نفس الاميرة لان هذا الرجل سيربح هذه البلاد في الحال ولن يعود اليها الى الابد . وبعد ثلاثة ايام يجناز تخوم روسيا فودعته وخرجت تقول :- اخيراً ! اخيراً ! حصلت على المراد . فيالثرارات لاديسلاز ونادين ! شكراً لك يا الهي شكراً لك

وبعد خمسة ايام شاع في بطرسبرج ان جون فاين الذي كان فريدة عقد السراة الامثال وزينة الاعياد وبهجة المحافل طلع عليه اللصوص عند تخم بولونيا فكسروا مركبته وقتلوه . وما بلغ هذا الخبر الاميرة كاريتا جثت على ركبتيها وصرخت الى الله مرددة قوله :- لي النعمة ! لي النعمة ! انا اُجازي يقول الرب !

الفصل الثامن

حفلة تنكر

كانت حفلة التنكر العظيمة في مرسح فينا ليلة ١٥ اغسطس سنة ١٨٧٦ في اiban انعقادها وقد بلغت اعظم ما يُعهد لنظيرها من حشد القوم وازدحام الاقدام حتى كنت ترى ذلك المكان كله داخلاً وخارجاً في اسافله واعاليه غاصاً بالقائمين بملابس التنكر رجالاً ونساءً . فهنا في ردهاته وهناك في اروقته وهناك في شرفاته قوم يروحون ويحيئون قائمين قاعدين قاصدين راقصين غير تاركين نوعاً من الازياء الغريبة المضحكة في الملابس الا وقد مثلوها على اختلاف في المقاصد وتباين في المنازع فالبعض اتوا ذلك ممتعين بالمسرّات الناشئة عنه والبعض اتخذوه وسيلة للحصول على ما يكسبهم متعة السرور والبعض الآخر تكلفوا التمتع اي تظاهروا بانهم

متبعون بتلك الألعاب المجونية والتسالي الهزلية

وقد كان ذلك المشهد على قول الرواة بهجاً ساراً الى الغاية . على انه ما لم يكن الانسان مصحوباً فيه بعددٍ من اخوانٍ اسبه وهنائيه واخذان سروره وصفائيه اوله على الاقل علاقة خاصة تبعته على الاهتمام بمقاسمة ما يعرض فيه من صور الألعاب واشكال التمثيل كان يبدو له ذلك المعرض من اكبر الموحشات واعظم بواعث الانزعاج والانتقاض ودون كل وسائل اللهو بهجةً ورونقاً

ولم يكن بين جميع الحضور رجلٌ نظر الى ذلك المرح العظيم بعين المقت والاستكراه نظير اوبين غودارد قائد الفرقة العشرين من الفرسان سابقاً ورسول الملكة حالياً وكان هذا القائد ذا هيئة فاتنة ساحرة وملاحة لقلوب ربّات الجمال أسرة . طويل القامة بفسر لديه أطول الرجال وعريض المنكبين كأحد الجبابرة الابطال . يكسو رأسه شعرٌ اثيث جميل وينشق من محياه الباهي نورٌ ذكك لا يدع الى الزيب في توقد ذهنه من سبيل . ولهذا وجد نعمة في عيون اكثر المتكورات واصبح فتنة اللواحق الساحرات الفاتنات ومبعث سباق القلوب اليه ومدعاة تحويم النفوس عليه

على انه كان خالي الذهن من هذا الاهتمام ذاهلاً عن هذا السباق والزحام مشيحاً بنظرو عن هذا الامر الواضح الجلي ولسان حاله يقول اين الشجي من الخلي لاناقتي في هذا ولا جملي . وهو قائم في مجلسه مثائباً متمطياً يراقب حوادث تلك الحفلة العارضة بعين الفتور والتراخي ولعجب كل العجب من الصدفة التي اوجدته هناك في مثل هذا الوقت الذي كان يفضل ان يكون فيه مضطجماً على فراشه . لانه كان قد قدم فينا في المساء الماضي رسولاً من قبل ملكة انكلترا وفي الصباح سلم الرسائل لئنظاره النمسا الخارجية وعزم على السفر بعد ظهر اليوم المقبل وكان الجو السياسي في مدة الخمس سنين الماضية قائماً مكفراً لما تبلد فيه من سجب المسألة الشرقية المطبقة التي أخذت تجميع منذ سنة ١٨٧١ في سماء الشرق الادنى حتى تراءى لها موشكة ان تكتنف شبه جزيرة البلقان وتطرها وابل حرب عوان تدمر مساكنها وتخليها من السكان . وقد افضت الى اصدار "لائحة اندراسي" الشهيرة في شهر ديسمبر عام ١٨٧٥ انفلت لها اوربا باسرها واضطربت نفوس مشاهير ساستها ووجفت قلوب ملوكها وعظماؤها وانقضى عام ١٨٧٦ في المفاوضات بين لندن وبرلين وفيينا والاستانة . حينئذٍ اصبح حاجه الملل الى رسل اكفاء وسفراء امناء شديدة جداً . واذ كان القائد اوبين غودارد اهلاً لهذه الخدمة دعي اليها من قبل جلالة ملكة انكلترا وعين رسولها الخاص الى تلك العواصم

لأنه كان قد قضى السنين الطوال في التضلع من لغات اوربا والاحاطة بشوارد سياستها . وعلى اثر الحوادث التي جرت في البلغار زاد العالم السياسي اضطراباً واوجس خوف حرب هائلة عامة فاسرعت الدول الى تلافي الخطب بعقد مؤتمر في الاستانة في شهر بنابر سنة ١٨٧٧ . وهكذا وجدنا القائد اوبين غودارد في فينا في شهر اغسطس سنة ١٨٧٦ اي قبل عقد المؤتمر بنحو خمسة اشهر

واذ كان رسول الملكة وحامل اوامر مهمة لم يستصوب اظهار نفسه لاصحابه ومعارفه في عاصمة النمسا فلزم جهده جانب العزلة والانفراد وبعد ما سلم الرسائل طلب لنفسه تنزهاً معتزلاً في احدى المركبات . ثم رجع مثقلاً بين يدي السامة والضجر لا يدري كيف يشغل وقت فراغه ويقضي ساعات الليل المقبل والنهار التالي الى الوقت المعين لرجوعه الى النظارة الخارجية واخذ منها اجوبة رسائله

لكنه لم يبلغ الفندق الذي كان نازلاً فيه حتى أُجيب سؤله بكتاب دفعه اليه خادم عند دخوله فتناوله واخذ يقلبه متجيراً ماذا عسى ان يكون ومن اتاه لانه لم يعلم احداً بقدمه ولم يستطع ان يتعرف الكاتب من خط العنوان اذ كان غير مألوف لديه ولا معروف عنده وهذا نصه : — الى الشريف القائد اوبين غودارد

هذا فضلاً عن انه لم يكن فيه من دلالة تشير الى كتابته بيد رجل او امرأة . واخيراً رأى ان حل هذا اللغز انما يكون داخل الغلاف ففتحه واذا داخله خاو خال لا يتضمن شيئاً سوى " ورقة دعوة " الى حفلة " التنكر " المعقودة في مساء ذلك اليوم فقال في نفسه " مهما يكن في الامر فاني ذاهب وليس من محذور في هذا لاني اعرف كيف احفظ نفسي ولا ريب في ان من دعاني او دعني (؟) الى هذه الحفلة سوف يستعلن او تستعلن لي هناك "

وبناء عليه قام بعد العشاء وخرج فاذا بالشوارع مزحومة بالذاهبين الى تلك الحفلة المعقودة والندوة المشهودة والمركبات تحب الى ذلك المرسح مرصوفة بالركاب رصاً وغاصة بها الازفة غصاً فركب احداها وجاء الى باب " الملعب العظيم " ودخل وجلس الى ان رأيناهُ بتثاب متمطياً كما مر معنا

وكانت الحفلة اذ ذاك في معظم القيام والالعب على غاية عرضها وقد مالت نحو الختام . واخذ البعض ينصرفون والبعض يستعدون للانصراف ومنهم صاحبنا اوبين غودارد وبينهم كان يتطى مودعاً الحفلة بالنظرة الاخيرة شأن العازم على الذهاب اذا بامرأة جازت مقابلته

نظر إليها وشاهد منها قد ارشيقاً كالغصن يتأود قائماً في مطرف حريري اسود يوشك ان يسيل رقة و "يكاد من اللطافة يعقد" وقد أسدلت على نصف محياها قناعاً اشد سواداً من خالية الغراب ترشق من ورائه سهام الحاظ تصمي القلوب وسحر اجفان يخلب الالباب

وفي غودارد يتتبع بمشاهدة هذه الذات المحملة بابدع المحاسن استمال نظره عروض رجل بجمل ورائها متأثراً لها وهو متكرر بزي ماجن ولا بس "وجهاً له من كل فيج يرفع" وبعدما توارت المرأة بين الجمع أبصر غودارد ذلك الماجن يمازحها وهي تشيح عنه بعين السامة والملل واذا راق لعيني اوبين هذا المنظر وآس شيئاً من التسلية في هذا المظهر استأنف الجلوس في مكانه متوقعاً عود تلك الفتاة المتنكرة وما كاد الجلوس يستقر به حتى ذعره صراخ ورائه قائلة واذا بها مسرعة في الهرب من وجه ذلك الماجن الذي عدا يجرى ورائها حتى ادركها حيث كان غودارد جالساً وفي اجنيازه بها التي الى يدها ورقة لم تلبث هي ايضاً ان القتها الى الارض وفي اقل من طرفة عين غابا كلاهما عن الابصار فانجنى غودارد والتقط تلك الورقة ونفها فوجدها غفلاً من الكتابة فقال في نفسه "مهما يكن من هذا فلست بتارك ذاك الماجن الوحشي يمتن قدر هذه الغادة الحسنة" ثم نهض وسار في جهة مسيرهما يخترق الصفوف المزدحمة حتى دنا من المتنكرة فأبصر الماجن واقفاً قدامها يروم محادثتها اما هي فنفرت منه ودارت تحاول الفرار واذا بغودارد الذي كان ورائها اصبح قدامها فاقبلت عليه وكادت تلتقي نفسها بين يديه وقد خاطبته بالانكليزية صريحة لا يخالطها اقل لهجة غريبة : —

— ارجو عفوك

— بل انا ارجو عفوك . هل من خدمة اشرف بالقيام بها لديك ؟ اراك مضطربة ومزعجة

— سري الى مركبي واغنم شكري وثنائي

— ليك وسعديك

ثم مد إليها ذراعها وقد دار بنظره مفتشاً عن ذلك الماجن الذي توارى عن النظر واذا لم يجده سار بها الى الباب الخارجي وهناك خاطبته :

— ارجوك ان لا تؤاخذني ولا تحطئي ادراك ما اردته بالتأسي مساعدتك وقد لذت بك كإنسان انكليزي واثقة بانك لا تنظر الي كواحدة — من — اولئك —

فاغترض تمة كلامها بقوله : —

— بلا ريب

ولما اتيا الى حيث كانت مركبتها تقدم غودارد وفتح بابها فوثبت إليها في الحال . اما فهو

فأد رأى نهاية مسعاه الى هذا الحد من الاخفاق قال لها : —

— هل تريدان ان اسير بجمايتك الى حيث تأمنين الخطر؟

— كلاً لاني في امن منذ الآن

— هل ادلّ السائق؟

— لا حاجة له الى دليل

افلا تسمحين لي على الاقل ان ازورك غداً واطمئن عن سلامتك؟ وبعد ما اطرفت هنيهةً أجابت : —

— هل تعدني انك اذا سمحت لك بهذا لا تسألني شيئاً عن امري وتنسى بعد ذلك

اجتماعنا للابد؟

فقال بلء اليأس

— نعم

— بشرفك؟

— بشرفي

— حسن

ثم اخرجت رقعة وكتبت عليها بقلم رصاص كلمة او كلمتين ودفعتها اليه قائلة : —

— شرفني بتناول الغداء معي في المكان الذي يدلّ عليه هذا العنوان

— متى؟

— غداً بل اليوم لانه كاد يطلع النهار

— سأراعي الميعاد بكل ضبط

— حسن . استودعك الله الى الملتقى مع الف شكر وثناء عليك ايها القائد اوين غودارد

فجذب من معرفتها اسمه ونكص الى الورا ليغتتم النظرة الاخيرة من المركبة التي ما ابطأت ان أدبرت واعمل السوط في ظهر جوادها فعدا كالبرق الخاطف واوغل في الجري تحت اطلاق الظلام . فذهب غودارد بالرقعة الى اقرب مصباح منه وعرضها على نوره فأرى مكتوباً عليها باحرف كبيرة " البارونة التدورف "

وليها عنوان مكتوب بقلم رصاص

فاشعل سيكاره ودار نحو مدخل الملعب على طريق الانصراف الى ميته مردداً في ذهنه

صور هذه المعارض . وهو بين مصدق لها ومكذب

الفصل التاسع

البارونة التدورف

مهما يكن من امر الساعة الاخيرة التي قضاها القائد اوبين غودارد في الملعب فانه قضى
مدها ساعة أخرى في مخدعه تائه الافكار مشرّد الحواس يضرب في حوادث ليلته — بل
حادثتها — انخاساً لاسداس وخرج قبل ظهر ذلك اليوم بساعنين قاصداً الملتقى في الاجل
الضروب

وقد يصعب على الكاتب وصف حالة القائد اوبين في اثناء مسيره . فانه اجهد قواه
عياً في الاطلاع على شيء من امر هذه البارونة ليعرف لها اصلاً ونسباً وكاد يخالط في عقله
من شدة الخبرة والدهشة اذ لم يجد في صوتها او حركاتها شيئاً باعثاً على الخذر والارتباب بل
كانت كلها ناطقة بكرامة اصلها وحسن تربيتها ولم يستطع ان يأخذها بكلمة نطقت بها شفتها
الجبلتان جزافاً ولا بنظرة سمحت بها عينها الساحرتان تيهكاً واستخفافاً . ومع ذلك تعرّفت
به على طريقة مهمة جداً وعينت له مكاناً للاجتماع بها على اسلوب في غاية الابهام . ومعلوم
ان ركوب مثل هذه الاخطار كان محظوراً على من جاء رسولاً من قبل ملكة انكلترا ولكن
غودارد لم يخطر بباله انه سائر في طريق الخطر او مقدم على ما يوجب الخوف والخذر . ومما
را به ايضا انه لم يقدر ان يتحقق جنسيتها ولا توصل الى معرفة وطنيتها . نعم انها خاطبته بالانكليزية
الفصحى ولكنه مع ذلك آس منها ما الجأ الى الحكم بانها ليست مولودة انكلترا او
لها برحتها منذ وقت طويل . واذ اعيتته الحيل في الوصول الى مبتغاه وسدت في وجهه
ابواب التبصر والاستطلاع اضرب عن الخوض في لجج هذه الافكار العميقة وعمد الى قطع
ما بقي عليه من الطريق في تصوّر استقبال البارونة له . فطنق يمثل امام عينيه هيئة المكان
الذي تدعوه اليه وما فيه من نفائس الرياش وفاخر المفروشات وانتقل منه الى تصوّر الهيئة
التي تقبل عليه فيها فشرع يتخيل صورة وجهها الباهي وجمال منظرها ورشاقة قوامها وحسن
لبسها ولذة الطعام الذي يتناولوه معها ورقة الانعام التي تشفّ مسمعه بها بعد فراغها من
تناول الطعام بالضرب على البيانو او على القيثارة غير ذلك مما يطول شرحه ويتعدّد راسخاؤه
ثم انقطع سلك تصوراتِه بغتة بداعي وصوله الى " منزل التدورف " الذي كُتبت له
البارونة اسمته على الرقعة التي اعطته اياها في الليلة الماضية

وكان هذا المنزل قائماً في ضاحية المدينة في بقعة عامرة بالمناظر البرية يحيط به سياج
يفصله عن الطريق ويخفي اسافله عن عين الناظر اليه من الخارج وله بوابة موصدة تنفتح الى

مشى متعرج يقود اليه . وعليه لم يستطع ان يستفيد شيئاً من مجرد النظر الى هذا القصر لانه لاح لعينيه مقفراً يخيم فوقه ظلال الوحشة وجميع نوافذه وكواه مغلقة بمصاريع ثقيلة وليس من دخان يصعد من مداخله ولا شيء من مظاهر الانس يبدو داخل ابوابه المحكمة الايصاد والتقفيل

وبالجهد تمكن من ضبط نفسه عن اظهار التعجب الشديد وقد انسته هذه الظواهر الموحشة وعده للبارونة بعدم ابداء اقل سؤال او استعلام فالتفت الى فلاح قائم في بستان على جانب الطريق وسأله : —

— ما هذا المنزل ؟ فاجابه بعين الحذر والارتياب : — هذا منزل التدورف

— ومن ينزله ؟ — لا احد — كيف لا احد ؟

— نعم فانه لا يزال مقفلاً منذ وفاة البارونة التدورف من ثلث سنين

— لكنّه لا يرى مهجوراً

— لان الباقي من عائلة صاحبه يقوم الآن بنظارتيه وتعهّد بساكنيه على انه لم يسكنه

احد قط بعد البارونة

— افى يقين انت مما نقول ؟

فلم يجبه الرجل بشيء بل اكب على عمله محققاً السائل وساخرًا بشدة جهله وغبائه اما غودارد فلم يكبر عليه مصير اقدمه الى هذا الحد لعله انه مضطّر ان يكون في النظارة

الخارجية الساعة الرابعة بعد الظهر لياخذ جواب رسائله من الكونت اندراسي

فعزم على مداومة السير حتى اذا حان الاجل المعين ولم يظفر بمبتغاه لا يعود للبارونة

التدورف — اذا جمعتها به المقادير — من حق في لومه على عدم قيامه بشروط دعوتها

فواصل التطواف حتى اجتاز حدود المنزل ثم رجع ادراجه يمشي الهويناً وعند الساعة

الثانية عشرة (الظهر) رأى نفسه مرة ثانية امام بوابة قصر التدورف فاذا به قد أخذ بعجب

جديد واندهال ما عليه من مزيد اذ رأى البوابة مفتوحة فدخلها وفيما هو سائر في المشي

المؤدي الى داخل ابصر مصاريع الكوى والشبايك كلها مفتوحة والدخان يتصاعد من احدى

المداخل عمداً وينتشر في عنان السماء زرداً . وفي مقدمة الدار كرسيان وامامهما بعض البسط

الشرقية وعلى واحد منها "شال" وكتاب مفتوح دلالة على انه مقروء فيه منذ وقت قصير جداً

ولما بلغ الباب فتحه له خادم ادخله الى غرفة الجلوس المغطاة بالحصر الهندية والمفروشة

على طراز لويس الخامس عشر . وفيما هو مأخوذ بماء الدهشة وقد دنا من شباك يشرف على

حديقة غناء اذا بذلك الصوت الرخيم الذي كان لا يزال يرن في فضاء ذهنه مدة العشر ساعات الاخيرة بكلمة من ورائه قائلاً : — اهلاً بالقائد غودارد

فالتفت واذا بمضيفته قادمة تخطر بقوام الين من الخيزران واعدل من غصن البان .
نكسوها حلة فاخرة من لدن عنقها حتى اخمص قدميها وشعرها الحالك مضمور الى مقدم رأسها .
فوقف غودارد مبهوتاً لا يقوى على التنفؤ بكلمة . اما هي فخطبته : —

— ها قد جئت في الوقت المعين وحسنًا فعلت . فلسوف يكون لنا وقت كافٍ لتعرف كل منا بالآخر او بالحري لاصلاح هذه المعرفة

— اعذريني اذا رأيت في كلامي — في اول الامر — شيئاً من عدم الانتظام بداعي خبرتي وارتباك . فهل نقولين لي اين اجتمعنا قبل اليوم ؟

— ليس الآن بل قبلنا نفترق — نعم . انت مضطرب ان تكون الساعة الرابعة في نظارة الخارجية وفي الساعة الخامسة تبرح فينا اليس كذلك ؟ بلى اذاً الاولى بنا ان نتناول اولاً الطعام ثم نفرغ بعد ذلك لمجاذبة اطراف الكلام

— اني طوع امرك

— لا تسرع في مطاوعتي اقتجماً او اكراماً بل ترسل في مجاويتي بحرية وكان يجب عليك ان تسبى ظنك في . وعلى الاقل سلم ان تصر في معك كان نادراً غريباً

— اني — فقاطعتها قائلة : اني وددت منذ وقت طويل ان اتعرف بك وقد سنحت لي فرصة فيامي بخدمة في ما لا تعلم عنه شيئاً . وفي اتمام هذا الامر رميت طائرين بحجر واحد .
فندخزبت القائد اوبين في حرب سياسية شرط الانتفاع بهرفته . وواضح ان هذا في حرب — فقال وفي حب — فقالت بلا ريب . قالت هذا متوردة ثم استأنفت كلامها : —

— على ان الاول يستدعي الآن معظم انتباهنا على الخصوص . ولكن قم بنا فان المائدة معدة وانا جائعة جداً

ثم سارت امامه الى غرفة الطعام . وبعد ما جلس على المائدة قال لها : —

— افلا تنعمين علي بايضاح هذه المشكلات المبهمة ؟ واول ما اسأله كيف عرفت اسمي وثانياً اما انت التي ارسلت الي ورقة الدعوة الى حفلة التنكر في الليلة الماضية ؟

— كيف عرفت اسمك ؟ وهل يجهل احد في فينا اسم القائد اوبين غودارد رسول جلاتها السياسي الا الخامل العريق في الجهل ؟ وانا التي ارسلت اليك ورقة الدعوة الى الحفلة لاسباب اطلعك عليها الآن . وليس بخاف عليك شدة ارتياحي الى المسألة التي لاجلها جئت

الى فينا اربع مرات في مدة اربعة اشهر وقد اتاح لي حسن الحظ اجتماعاً بك طالما حدثت نفسي به — مهما يكن من غرضك ايتها البارونة فان لساني الآن في هذا الاجتماع القصير انصر

من ان يعبر عما اغبط به نفسي على هذه الفرصة السعيدة

— ان رسالتك في غاية الاهمية والمؤتمر سوف يعقد في ديسمبر او يناير

فاجابها متهجراً : — هكذا يظن

— من الغريب ان انك لتراً ترضخ لاوامر روسيا وتذعن لمقترحاتها وقد كنت اظن ان

حكومتك ترسل اسطولها الى الشرق

— انها لا تقدم على هذا الا اذا اخفقت مساعي المؤتمر وقصرت مقدماته عن ادراك

النتائج المطلوبة

— اذا في الزوايا خبايا ولم اخطئ الظن

فاجابها متبلججاً وقد اوجس خوف تضيقها على افكاره واطلاعهما على مكنونات اسرارهم :

— لا اعلم . اراك على جانب عظيم من الاهتمام بالسياسة حالة كون افكار السيدات

الطف من ان تخذلها حوادث كهذه

— حقاً اني اعظم شأن هذه الحوادث وانما يقلقني كثيراً ان ارى مصالحكم الانكليزية

مدوسة تحت قدمي غورتشاكوف بواسطة رجلكم غلادستون

فاجابها مقطباً . ليس لرجلنا غلادستون حق المداخلة في هذه الامور ومن العبث تعليل النفس

بشيء من مثل حادثة سنة ١٨٧١ وما كان الجو ليخلو الآن لروسيا فتمرح وتطفر وتبيض وتصفير

قال هذا لانه كان من اكبر انصار حزب المحافظين وقد احفظه كلام البارونة الى الغاية

فاجابته : — ذلك ما احب سماعه من رجل نظيرك وهو خلاصة الرسالة التي بعثت بها الى هنا

ولا تحاول إخفاء الامر لانه لا يسعني ان اتصور انك تكذب عليّ

— لست بقادر ان اكذب عليك

فنهضت ودعته الى الانصراف عن المائدة بعد ان اكلا كفافهما ثم خاطبته قائلة وقد لاح

على وجهها تغير فجائي : لم يبق سوى ساعة لخروجك من فينا ففي الساعة الثالثة ونصف تسير بك

مركبتني الى نظارة الخارجية ومن ثم الى المحطة افلا تجيب سوئي في انك ترسل السائق من نظارة

الخارجية ليبتاع لك ورقة سفر ويحضر امتعتك من الفندق ؟ اذ لا اريد ان ترجع انت بنفسك

— ينجلني جداً تظفلي على الانتفاع بهذه العناية الشديدة

— عدني ! عدني !

— اعدك . ولكن الا تطلعي على خفايا هذا السر؟

— لا يخفى عليك ان السياسة الروسية نفّاذة لا يعوقها شيء وقد علمت ان بعض وكلاء روسيا يسعون جهدهم لكي يعوقوك في فينا واجمعوا على طلبك الليلة الماضية من الفندق . فبعثت اليك بورقة الدعوة وسببت غيابك عن مبيتك وجئت بنفسى الى الحفلة لاشاهدك واطمئن عن بجانك من اشراك هذه المكيدة . ثم مثلت امامك ذلك ” الدور ” وجعلت ذلك الرجل يطاردني ويبالغ في امتهاني على مرأى ومسمع منك لعلني انكليزياً نظيرك لا يطيق ان يرى امرأة تهان في حضرته . ولولا هذا لكنت اليوم مسوqاً الى براز او وقوف في دائرة البوليس . ثم متت الحاجة ان اواريك هذا النهار عن الانظار وقد خطر على بالي هذا المكان وانت سائر الى المركبة لانهم ينتظرونك اليوم في الفندق . فلا تنس انك وعدتني بعدم الرجوع الى الفندق فاجابها وهو يشتعل غيظاً : — اوتظنين ان مثلي يهرب من وجه انسان

فقلت له برصانة : — من واجباتك صيانة ما ارسلت اليه فقال — الحق معك وظلاً يتجاذبان اطراف الكلام حتى حان وقت انصرافه فقالت له بكل اسف اقول لك اذهب — اشكر لك فضلك وعنايتك

— اذا تعفو عن سعيي في اعتراض حريتك ؟

— نعم وذلك في حب وفي حرب - وكلاهما هنا

فتوردت البارونة وقالت له مادة يدها : — سر سلام

ولما بلغا باب الدار حاول ان يوضح لها شيئاً من لوايح حبه فقال دون ذلك وجود السائق مدلاً المركبة وفتحاً بابها فاكتفى بقوله وهو ضاغط يدها : —

— الى الملتقى — اليس هكذا ؟

— هكذا ارجو

— وعدتني انك تخبريني اين اجتمعنا قبل الآن

— امس في الملعب

ثم اغلق السائق باب المركبة وعدا بها حتى بلغ البوابة الخارجية فاطل غودارد من كوتها فوجد نوافذ القصر اقفلت كما كانت في الصباح . فقال في نفسه : ان هذه المركبة شاهدة على اني في يقظة والا فجميع ما حدث لي كان حلماً

ولما ذهب السائق الى المنزل رأى فيه رجلين كانا في انتظار غودارد منذ الظهر ولا يزالان ينتظران

الفصل العاشر

القوة وراء العرش

ان نظام البوليس الروسي منقسم الى ثلث فرق الفرقة الاولى من نوع الشرطة المعروف بالجندرية والثانية البوليس الاداري وهذه رتبها القيصر يقولوا لاصلاح شؤون الضباط والمأمورين ولكنها قد عمت الآن اقطار العالم والثالثة — الفرقة الهائلة الخفية — مؤلفة من البوليس السري ولها رقباء وجواسيس في كل بيت وفندق وحانة . وهذه الفرق الثلاث يرأسها رجل واحد . وهذا الرئيس كان عليه في مشاكل سنة ١٨٧٦ الى ١٨٧٧ ان يقوم بما تضعف عنده الهمم وتخور لديه العزائم

ثم ان دائرة النظارة الخارجية في بطرس برج هي اوسع واكبر دوائر الحكومة ويلها دائرة النظارة الداخلية وعلي ملاصقة هاتين الدائرتين غرفتان صغيرتان احدهما داخلية تنفتح الى رواق والاخرى خارجية تشرف على شارع نيوسكي . وهاتان الغرفتان مفترقتان لاقامة رئيس البوليس واركانه كاتم اسرار ومستشاران او كاتبان

وكان البرنس سكولوف رئيس البوليس يقيم في الغرفة الخارجية . ومقامه هذا — بين دائرتي النظارتين — يدل على شدة اهميته في احوال السياسة الاوربية . وكل من شاهده جالسا على كرسيه المغشى بالاديم لا يفوته ادراك ما كان عليه من ضخامة الجسم وشدة القوى الجسدية . ويكفي للدلالة على ذلك يده الهائلة الملقاة على مائدة امامه . وهو غير متجاوز الاربعين سنة . غير ان مجالات الخطوب ومعاركات الايام كانت راسمة علي وجهه خطوط وقائمه الرائعة التي ييضت مفرقة مع ان شعر حاجبيه وعارضيه كان باقيا في شدة سواده دليلا على تلك الليالي السود التي مرت برأسه . وكان في هذا الوقت يقذف بشر عيني الحاذقين من تحت جبهة عريضة ووجهه يسفر عما اعتاده في حالة السكون والهدوء . وامامه — اذ الوقت صباح — رسائل متنوعة جاءت منذ نصف ساعة وهو آخذ في فضاها واحدة واحدة وبعد ما يعلم بقلم رصاص ليسهل توزيعها يضعها في كومتين احدهما ترسل الى مجلس الشورى والاخرى تحفظ لكي تطالع مطالعة سرية فيما بعد . لكنه لم يلبث ان توقف عن فضاها بداعي رسالة تناولها ولم يطل نظره فيها اذ ليس من فائدة في ذلك لانها لم تكن من الرسائل الاعيادية بل كانت مكتوبة على قرطاس ازرق رقيق مربع الشكل باحرف يونانية على اصطلاح خاص . وغاية ما استطاع تلاوته منها مامعناه "الشيطانة الجميلة" . فلم يعد له مندوحة عن انتظار كاتم اسرار الذي عنده مفتاح الرسالة السرية وحل هذه الاحجية . على

الله ما بظاً ان طرق اذنه وقع اقدام فالتفت واذا بشاب دخل الغرفة وجلس على كرسي امام مكتبة لمخاطبة قائلاً ها قد اتيت يا ديمتري ديمتريفتش فقد كنت في انتظارك

— هل من رسالة من الشيطانة الجميلة ؟

— نعم فاين الآلة التي تحل بها مثل هذه الرسالة ؟

— هنا يا صاحب السمو

— أدرها على ١٠٥٠٢٠٠ ر واقرأها بها

قال هذا وسلم الرسالة الى كاتم اسرار ورجع يفض الرسائل الباقية وعلى مدة نصف ساعة لم يسمع في تلك الغرفة من صوت سوى صرير تلك الآلة المشغول كاتم الاسرار في ادارتها فتسيرا للرسالة السرية حتى اذا فرغ من حلها حرفاً حرفاً نهض ودفعها الى رئيسه مكتوبة بالفرنسية وهذا تعريبها : —

” فينا في ٢٤ اغسطس سنة ١٨٧٦

” القائد اوبين غودارد من فرقة العشرين للفرسان مبعوث الملكة الخاص في المسائل الشرفية . عمره نحو ٣٤ سنة وهو انكليزي مذهب من كل وجه ويتعذر استجلاء دخيلته وابتلاء اسراره بالوسائل العادية . قدم فينا في ١٥ اغسطس يحمل رسائل الى نظارة الخارجية ” اذا عقد المؤتمر لزمتم انكثرتا جانب الحياد وان شهرت روسيا الحرب اسرعت انكثرتا الى احتلال البوسفور . لا بد من المحافظة على عدم تجزئة المملكة العثمانية . عناية خاصة بباطوم وطرابزون . لا تفصيل غير هذا الآن

” في هذا المساء ابرح فينا شاخصة الى بطرس برج الشيطانة الجميلة “

ثم طوى رئيس البوليس الرسالة الاصلية وترجمتها ووضعها في خزانته وقال ممتناً : —

— ان هذا في غاية الاهمية . ” انكليزي مذهب . يتعذر استجلاء دخيلته لا تفصيل غير هذا “ . حقاً اني لا احب هذا الاسلوب . لكنها قادمة هذا المساء . فلا باس . سوف نقابل هذه المرأة الداهية

ثم سلم الرسائل المراد توزيعها الى احد مستشاريه وقال له : —

— ابغ كاتم اسرار نظارة الحرب اني في انتظار ناظره بعد ساعة

ولما خرج هذا التفت البرنس سكولوف الى كاتم اسرار ديمتري ديمتريفتش كيراتيف وقال :

— احقق ان ابالك ديمتري كيراتيف لم يشر الى اسم هذه البارونة التدورف او — كما

يدعونها — الشيطانة الجميلة

— نعم يا صاحب السمو فانه لم يذكرها قط . ولكن بعد حدوث المكيدة التي نُصبت لاغتيال جلالة القيصر واصيب فيها ابي بجرحه المميت ذكر لي امرأة عندها مفتاح الرسائل السرية لكنه لم يفه قط باسمها وكنت حينئذ صغيراً جداً . فغشي محيا البرنس سكولوف ضبابه كثيفة عند سماعه هذا الكلام لان المكيدة التي نُصبت للقيصر ولاقى فيها رئيس البوليس السابق حنقه كانت موضوعاً منع الرئيس الحالي — لاسباب سياسية — البحث فيه امامه . اما كاتم اسرارهِ فاعتبر شخصاً ممتازاً في وظيفته من حيث كونه تحت حماية الرئيس الحالي وابن الرئيس السابق ولما اغتيل ابوه ديمتري كيراتيف كان هذا النقي من موظفي دائرة البوليس وحين دُعي البرنس سكولوف الى وظيفة ابيه طلبه وعينه كاتم اسرارهِ . اما دورسكي رئيس عصابة النيهيلست فلم يعد يعرف عنه شيء وشاع انه قتل في اودسا بعد ذلك بوقت قصير وان جماعته تفرقوا . ومن ذلك العهد منع الخوض في مسألة مؤامراتهِ وعدت من جملة المواضيع التي لا يسوغ البحث فيها في دائرة البوليس . اما الان فلم يكد هذا الرئيس لكاتم اسرارهِ اشارة الصمت عن هذا البحث بل استفسر منه كمن تذكر شيئاً غامضاً عن حادثه منسية قائلاً — كيف كان كلام ابيك معك بخصوص هذه المرأة ؟

— قال لي : ” يا ديمتري اذا دعيت يوماً الى مقام خطير في هذه الفرقة فهنا مثال لالة الكتابة السرية الذي تحل به جميع المراسلات السرية . ومتى راسلتك امرأة على هذا النمط اطلع رئيسك على رسالتها وقل له ” اني انا ديمتري كيراتيف خلفت له وصية الاختفاء بها والاتفات بعين الاهمية الى جميع رسائلها . وليثق بها مطمئناً لان زمام نجاح مملكة روسيا المقدسة في قلبها وقد يكون في يدها “ ولذا ارى يا صاحب السمو ان ” الشيطانة الجميلة “ هي المرأة المعينة بوصية ابي لانه لم يؤتمن على آلة كتابته السرية من يقلدها او يسيء استعمالها — اظنك مصيباً بهذا ثم تفرغ رئيس البوليس بعد هذا للاجتماع بناظري الحربية والخارجية

الى الساعة الرابعة بعد الظهر . وحينئذ انصرف كاتم اسرارهِ ومستشاراه وادخل اليه خادم مصباح المطالعة فد يدبه متمطياً كمن اكمل شغله او انتقل الى عمل اخف واسهل . ولم يكن يخطر ببال من ينظر اليه جالساً على هذا الاسلوب من التراخي والتشاغل ان هذا الذي يستطيع بكلمة واحدة ان ينفي كثيرين الى سيبيريا او يفرق الحكومة في لجج عراقيل طامية كان قبل

ان تراه في رئاسة البوليس بثاني سنين — الكس دورسكي زعيم النيهيلست
نعم كان هو اياه ولم يعلم بهذا احدٍ سواه . بل جميع الذين كانوا يعرفونه قبلاً وراؤه منزهة في هذا الدست خفي عليهم ان هذا البرنس سكولوف هو الكس دورسكي مقدم النيهيلست